

المؤتمر الثالث عشر من مؤتمرات علماء
اللغات الشرقية

Kalimah ʿan al-Muʾtamar...

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة عن المؤتمر الثالث عشر من مؤتمرات علماء اللغات الشرقية

(المنعقد بمدينة هامبورج في أوائل شهر سبتمبر سنة ١٩٠٢)

أن اشتغال الاوربا وبين بالعلوم الشرقية لم يبتدء الا عقب الحروب الصليبية. فان الأمم المسيحية التي حضرت تلك الوقائع الهائلة رأت من تمدن العالم الاسلامي وارتقائه في كل شيء ما بعث في أنفسها حب الوقوف على سبب ذلك التقدم الباهر.

فأخذ كل يجتهد بما وسعه للبحث والتنقيب عن تلك العلوم والمعارف الشرقية. انما وجد المشتغلون بها في بادىء الامر صعوبات جمة منشئها ما كان سائداً على الافكار من الصاق كل نقيصة وعيب بالاسلام والمسلمين وما جاور المسلمين شأن كل حالة بين عدوين تأصلت بينهما العداوة مدة قرون طويلة. ولكن لم يطل الامر على ذلك حتى تغلبوا على تلك الاوهام بعزائم الجد وقشعوا بنبراس العلوم ما تكاثف من غياهب تلك الاضاليل وفتحت المدارس أبوابها للطلبة والمشتغلين بهاته العلوم الشرقية. ولما تكاثر المشتغلون بها وتضاعف عددهم في كافة البلاد الاوربا وية طلبوا انشاء مجتمعات دولية عامة ليجتمعوا فيها آناً بعد آخر لتبادل الافكار ولايقاف بعضهم بعضاً على نتائج ابحاثهم دون الاقتصار على الكتابات التي لا تغني في مواطن

كثيرة بالغرض المقصود ولاتفاقهم على ما يجب عمله لحل معضلات المسائل التي يصعب حلها على فرد منفردا ٠

ومن ثم وجدت هاته المؤتمرات العلمية التي يقصد بها التضافر والتعاضد على نشر ما انطوى من آثار العلم وبث روح النشاط بين الكثير لدفعهم لزيادة الاتقان وطلب الكمال وتقريب الامم المختلفة والاجناس المتباينة وازالة الحجب التي كانوا يتوهمون انها الفاصل الذي لا يتسنى تخطيه بينها ٠

وأول دولة دعت علماء الدول الاخرى بصفة رسمية للاجتماع والبحث في هاته العلوم الشرقية هي دولة فرنسا فانها افتتحت أول مؤتمر علمي شرقي في مدينة باريس في سنة ١٨٧٣ ٠

ومن ذاك العهد أخذت هذه المؤتمرات في الانعقاد آنا بعد آخر في عواصم البلاد الاورپاوية الاخرى على التعاقب ٠

وهاك بيان المؤتمرات الشرقية وسنى انعقادها والبلاد التي اجتمعت فيها :

المؤتمر الاول	في مدينة باريس	في سنة ١٨٧٣
« الثاني	« « لوندره	« « ١٨٧٤
« الثالث	« « صان بطرسبورغ	« « ١٨٧٦
« الرابع	« « فيرنزا	« « ١٨٧٨
« الخامس	« « برلين	« « ١٨٨١
« السادس	« « ليدن	« « ١٨٨٣
« السابع	« « ڤينا	« « ١٨٨٦
« الثامن	« « استكهولم	« « ١٨٨٩
« التاسع	« « لوندره	« « ١٨٩٢
« العاشر	« « جنيف	« « ١٨٩٤
« الحادي عشر	« « باريس	« « ١٨٩٧
« الثاني عشر	« « روما	« « ١٨٩٩
« الثالث عشر	« « هامبورج	« « ١٩٠٢

وأول موتمر اشتركت فيه حكومتنا المصرية من هـذه المؤتمرات هو المؤتمر السابع المنعقد بمدينة ڤينا عاصمة النمسا .

ومن ذلك العهد لم تتخلف الحكومة المصرية عن الاشتراك فيما انعقد بعده من هذه المؤتمرات

* * *

ولما دعت الحكومة الالمانية في أواسط سنة ١٩٠٢ الدول الاخرى للاشتراك في مؤتمر هامبورج أجابتها لذلك كافة الدول الاوروباوية والدولة العلية العثمانية ومصر والعجم من بلاد الاسلام ودول أخرى من آسيا وأمريكا الشمالية والجنوبية حتى بلغ عدد الدول التي اشتركت فيه ثمان وعشرون دولة . وأضف الى هذا العدد العظيم مائة واحدى وعشرين جمعية علمية عظمى من الجمعيات العلمية الاوروباوية والامريكية والاسيوية أرسلت كل منها مندوبين للاشتراك في أعمال هذا المؤتمر حتى فاق بعدد أعضائه كافة المؤتمرات التي سبقته فان عدد أعضائه الرسميين والمتطوعين كان يربو عن الف وخمسمائة عضو .

ومما يستلفت الانظار ان من بين أعضائه عدداً ليس بالقليل من النساء الفاضلات اللاتي شاركن بهمتهن واقدامهن الرجال في مضمار العلم

* * *

واجتمع المؤتمر اجتماعاً حافلاً في يوم ٤ سبتمبر سنة ١٩٠٢ وافتتح رئيسه العمومي العلامة (بهرمن) أعمال المؤتمر بخطبة شائقة رنانة رحب فيها بالقـادمين وأبان في غضونها بأن الصلة الحقيقة بين الامم هي صلة العلم

وقام من بعده مندوب الامبراطورية الالمانية ثم من بعده أخذ مندوبو الدول الاخرى الاجنبية في القاء الخطب على التعاقب بما لايخرج موضوعهم عن كلام الرئيس وكان كل تقريباً يخطب بلغة بلاده .

وأنى للقلم ان يستوعب وصف بهجة هذا الاحتفال العلمي الفخيم حيث كنت

ترى أرجاء تلك القاعة الفسيحة التي أعدت لهذا الغرض غاصة بكل أنواع البشر من صيني وياباني وهندي وجاوي ومصري وعجمي وكلهم بملابسهم الوطنية وأكثر الاوروباويين منهم مشايخ أجلاء أرخوا ما أبقى لهم الصلع من الشعور البيضاء على أكتافهم وأعينهم تتقد ذكاء من خلف تلك النظارات الزجاجية التي كانت تزيد في رؤيتهم مهابة ووقاراً .

وانقسم المؤتمر بعد افتتاحه الى ثمانية أقسام كل منها خاص بفرع من الابحاث

القسم الاول كان خاصاً بالعلوم اللسانية الهندية الجرمانية

القسم الثاني بالايرانية

القسم الثالث بالهندية

القسم الرابع بما يتعلق بآسيا الوسطى وآسيا الغربية

القسم الخامس العلوم السامية

القسم السادس العلوم الاسلامية

القسم السابع اللغات المصرية القديمة واللغات الافريقية

القسم الثامن كانت مواضيع أبحاثه تأثير الغرب على الشرق والشرق على الغرب

* * *

وانقسم أعضاء المؤتمر من تلقاء أنفسهم كل بحسب اختصاصه بهاته الاقسام الثمانية . وكان بعض الاعضاء يحضر قسمين أو ثلاثة من هاته الاقسام بحسب ماله من المعارف التي تؤهله للاشتراك في ما يقال في كل منها

ولكل قسم رئيس تنتخبه ادارة المؤتمر ممن اشتهروا بالعلم والعمل والفضل والكمال فانتخب للقسم الاسلامي العربي الذي كنا نحن المصريين من أعضائه العلامة (دوكوجة) الهولاندي رئيساً وجنابه شيخ جليل من ذوي الاطلاع على العلوم العربيــة وله مؤلفات فيها منها مختصر تاريخ الطبري والرجل ككثير من أمثاله الاوروباويين المتضلعين في اللغة العربية علما ليس له اعتياد على التكلم بها عملاً فاذا تكلمت معه باللغة العربية لا يقدر ان يفهم ما تقوله له . أما الذين درسوا منهم تلك

اللغة علماً وعملاً فيحسنون التكلم بها ويوجد من بينهم من لا تفوته حتى دقائق المعاني

***

وهاك أهم المواضيع التي جرى البحث فيها امام القسم الاسلامي العربي

تكلم العلامة البروفسور (ماركس) المستشار الامبراطوري الالماني عن كيفية دخول آراء ارسطاليس الفلسفية عند العرب

وتكلم الدكتور (برونيل) الامريكاني عن علاقة الفلسفة اليونانية بالفلسفة العربية

وتكلم البروفسور (فيشر) الالماني عن أصل الخطوط العربية

وتكلم البروفسور (مونتي) مندوب حكومة الجمهورية الفرنساوية عن رحلته العلمية في بلاد مراكش وعن انتشار الطرق الصوفية بها وذكر ما لها من السلطة السياسية في حكومة تلك البلاد

وتكلم حضرة العلامة السير (شارل ليل) مندوب حكومة الهند عن بعض ما وجدوه من الاوراق في أم درمان عقب انهزام المتمهدي وعما احتوته من آرائه السياسية وبعض اعتقاداته الدينية التي اجتهد في بثها بين قومه

وتكلم المسيو (جان اسبيرو) السويسري الذي أقام مدة طويلة استاذاً بتونس عن الامام الماتوريدي ومذهبه

وتكلم العلامة (جلدسير) الملقب بالازهري الهنكاري عن المراثي عند العرب .

وتكلم الدكتور (هيس) السويسري عن لغة قحطان

وتكلم البروفسور (سيبولد) الالماني عن الدروز واعتقاداتهم الدينية

وتكلم السنيور (كارتليني) الطلياني عن الانشاء العربي في مصر في العصر الحاضر

وتكلمت حضرة السيدة (أولغادي ليبديف) الروسية عن حقوق المرأة المسلمة اثناء قيام الزوجية ومدحت النهضة المصرية الحديثة الآخذة في السعي لتحسين حال المرأة الشرقية سعياً مجيداً .

وتكلم حضرة زميلي أحمد بك زكي السكرتير الثاني لمجلس النظار وأحد مندوبي الحكومة المصرية في هذا المؤتمر أمام الحفلة العمومية عن كتاب جليل قديم دثرته يد الزمان وهذا الكتاب

هو كتاب «العز والمنافع في المجاهدين بالمدافع» لمؤلفه ابراهيم بن أحمد غانم الاندلسي

فأحيا جناب الخطيب المصري بحثه ذلك الكتاب وبين بعبارة رقيقة تاريخ مؤلفه وذكر ما تضمنه من الافكار والآراء التي من جملتها ان أول من اخترع البارود هم الالمانيون كما تحقق ذلك لمؤلف الكتاب المذكور

وتكلم كاتب هاته الاسطر عن الجامع الازهر

وللكلام أمام المؤتمر ان يكتب العضو الذي يريد التكلم في سكرتارية القسم الذي هو من أعضائه ويبين للسكرتير موضوع بحثه . ويعرض السكرتير ذلك على رئيس القسم فاذا وجد الرئيس ان الموضوع مما يجوز التكلم فيه [1] أمام المؤتمر يحدد للعضو طالب الكلام اليوم الذي يتكلم فيه ويجوز لكل عضو من المستمعين أن يوجه أي اعتراض على ما يقال في المؤتمر وتأخذ حينئذ المناقشة المعتدلة حقها وينتهي الجدال غالباً بتصفيق الاستحسان للخطيب وللمنتقد

والاستفادة الحقيقية التي تؤمل من المؤتمر لا ترجى على ما أرى من هاته الخطب التي يلقونها [2] وانما تنال بالاجتماعات الكثيره التي يعدونها عمداً لهذا الغرض لتبادل الافكار بسؤال الاعضاء بعضهم بعضاً عما يريدون الوقوف عليه ولترتبط بينهم روابط المعرفة والصحبة بما يجر اتصال المكاتبات بينهم فيما بعد خدمة للعلوم والمعارف .

وبقي المؤتمر منعقداً ستة أيام كان الاعضاء يجتمعون في اثنائها صباح مساء

وأعدت لهم الحكومة الالمانية وحكومة مدينة هامبورج الحرة ولجنة المؤتمر الولائم الشائقة والزينات البديعة اكراماً وترحيباً . وفي اليوم العاشر من شهر سبتمبر وهو آخر أيام انعقاد المؤتمر دعت لجنة المؤتمر كل الاعضاء لمأدبة عظمى في حديقة غناء وعقب الوليمة أعلن الرئيس العمومي اختتام المؤتمر بين أصوات التصفيق والابتهاج وودع الاعضاء بعضهم بعضاً على أمل الالتقاء في سنة ١٩٠٥ في مدينة الجزائر التي تقرر ان يجتمع فيها المؤتمر الرابع عشر المقبل

تحريراً بمصر القاهرة في دسمبر سنة ١٩٠٢ — مصطفى بيرم

(١) اذ لا يجوز التكلم بما يعد طعناً على الديانات أو فيما له تعلق بجرح الاحساسات السياسية

(٢) اذ كل يتكلم بلغة بلاده فلا يفهم الغالب بعضهم بعضاً



ترجمة الخطبة الافتتاحية

سيداتي وسادتي

لما شرفتني حكومتنا السنية المصرية بتعييني في هذا المؤتمر مندوباً عنها لاشاركم في مباحثكم العلمية رأيت أن أجعل بحثي امامكم عن اكبر مدرسة جامعة اسلامية وأعني بها مدرسة الجامع الازهر

نعم اشتغل البعض من قبلي بهاته المدرسة الجامعة الكبرى التي بها الآن مايفوق عن عشرة آلاف طالب وكتبوا عنها بعض كتابات متفرقة في جرائد مختلفة الا ان ما كتبوه عنها كان قاصراً على بعض أمور غير جامع لكل مايهم معرفته عنها . وأظن ان السبب في ذلك هو ان هاته المدرسة الكبرى نالت من بعيد الصيت وفائق الشهرة ما جعل كثيراً من الكتاب يتخيلون ان الكتابة عنها لا تزيد في علم الناس بها شيئاً

وأنا أقدم بين يدي حضراتكم اليوم على قلة بضاعتي رسالة صغيرة كتبتها باللغة العربية عن هاته المدرسة العربية وأملي أن تقع لديكم أيها السادة العلماء الذين أوقفتم أنفسكم على البحث والتنقيب عن درر لغتنا العربية موقع القبول والاستحسان

الازهر مدرسة علمية وجامع للعبادة

الازهر هو أشهر جامع بين جوامع الاسلام وأقدم مسجد تشيد في مدينة القاهرة المعزية وأعظم مدرسة جامعة اسلامية لتدريس العلوم والفنون والآداب .

هذا هو أعظم منبت للعلوم الاسلامية تقصده الوفود من جميع جهات العالم الاسلامي لتعلم العلم الذي أمرهم دينهم الحنيف بطلبه ولو بالصين

وهذا هو المعبد الديني الذي جمع كل طوائف المسلمين في مركزه المبارك وأوقفهم امام خالقهم للصلاة اخوانا وقوف البنيان المرصوص لشد روابط الاخوة الدينية واتحاد قلوب المسلمين في انحاء الارض وانضمامهم جميعاً مع تفرق الاجناس واختلاف البلدان على كلمة واحدة هي كلمة الدين التي تغلب عندنا على كل جنسية ووطنية

وكأن الجامع الازهر على هاته الصفة من وفود أهل الاوطان المختلفة والاجناس المتنوعة من أطراف الارض هو مجتمع ثان للمسلمين يجتمعون فيه و يتعاشرون أعواماً بعد موقف الحج الذي يجتمعون فيه اياماً معدودات من كل عام

بناء الازهر

ذكر جمال الدين الاتابكي في تاريخه النجوم الزاهرة : «ان نظام مصر اختل بعد موت كافور الاخشيدي لما قام على مصر أحمد بن علي بن الاخشيد وهو صغير فصار ينوب عنه ابن عم أبيه الحسين بن عبد الله بن طفيج والوزير يومئذ جعفر بن الفرات فقلّت الاموال على الجند فكتب جماعة منهم الى المعز لدين الله معد وهو بالمغرب يطلبون منه عسكراً ليسلموا اليه مصر فجهز المعز أبا الحسن جوهر بن عبد الله بالجيوش والسلاح فسار جوهر حتى نزل بجيوشه الى « تروجة » بقرب الاسكندرية وأرسل الى أهل مصر فاجابوه بطلب الامان وتقرير املاكهم لهم فاجابهم جوهر الى ذلك وكتب لهم العهد فعلم الاخشيدية بذلك فتأهبوا لقتال جوهر فجاءتهم من عنده الكتب والعهود بالامان فاختلفت كلماتهم ثم اجتمعوا على قتاله وأمروا عليهم ابن الشويزاني وتوجهوا لقتاله نحو الجيزة وحفظوا الجسور فوصل جوهر الى الجيزة

ووقع بينهم القتال في ١١ شعبان سنة ٣٥٨ هـ ودام القتال بينهم مدة ثم سار جوهر الي منية الصيادين ووصل اليه طائفة من العسكر في مراكب فقال جوهر للامير جعفر بن فلاح لهذا اليوم حباك المعز لدين الله فعبر عريانًا في سراويله وهو في موكب ومعه الرجال خوضاً والتقى مع المصريين ووقع القتال بينهم وثبت كل من الفريقين فقتل كثير من الاخشيدية وانهزم الباقون بعد قتال شديد ثم أرسلوا يطلبون الامان من جوهر فأمنهم وحضر رسـوله ومعه بند وطاف بالامان ومنع من النهب فسكن الناس وفتحت الاسواق ودخل جوهر من الغد الى مصر في طبوله و بنوده وعليه ثوب ديباج مذهب ونزل بالمناخ وهو موقع القاهرة اليوم »

فلما تم للفاطميين الفتح ودخل جيشهم قاعدة ملك مصر تحت قيـادة جوهر أرادوا ان يؤسسوا مدينة جديدة تخلد ذكرهم وتؤبد أثر افتتاحهم وتكون لهم معقلاً وحصناً حصيناً يأوون اليه و يقطنونه هم وأخصاؤهم فأمروا قائد جيشهم جوهر بانشاء تلك المدينة فانشأها وسماها « المنصورية » وذلك في سنة ٣٥٨ هـ ولما انتقل المعز لدين الله الخليفة الفاطمي من القيروان وجاء لمصر للاستيطان بها في سنة ٣٦٢ هـ غير اسم المدينة الجديدة وسماها « القاهرة المعزية » .

ولما كان أول ما ينشأ في مدينة اسلامية انما هو الجامع الذي يجتمع فيه المؤمنون لاداء فريضة الصـلاة انشاء جوهر من جملة المنشآت الجامع الازهر خصوصاً وان الفاطميين أهل شيعة وأبوا ان يفاجئوا في بداية فتحهم جوامع أهل السنة بخطبتهم التي يقولون فيها « وصلى على الائمة أباء أمير المؤمنين المعز لدين الله » دون ان يكون لهم جامع خاص بهم فأنشأوا الازهر ليكون جامعاً لطائفتهم

وشرع في بناء هذا الجامع في يوم السبت ٢٤ جمادى الاولى سنة ٣٥٩ هـ وتم بناؤه في سنتين تقريباً فان أول جمعة جمعت فيه كانت في شهر رمضان سنة ٣٦١ هـ.

وفي سنة ٧٠٢ هـ انهدم هذا الجامع بزلزال شديد حصل بمصر في تلك السنة فأخذ الامير سلار من رجال دولة المماليك البحرية على نفسه عمارة هذا الجامع الشريف وجدده.

وفي سنة ١١٦٧ هـ زاد في سعة هذا الجامع بمقدار النصف تقريباً الامـير عبد

الرحمن كتخدا بن حسن جاويش القازوغلي .

وكان غالب الخلفاء والوزراء والامراء وذوي الجاه ممن تولوا ملك مصر أو كانوا ذوي سلطة بها يتنافسون في تشييد وتعمير هذا الجامع وملحقاته بانشاء الاروقة لسكن المجاورين والحياض للغسل والوضوء وغير ذلك مما وسعه وكبره وجعله في سعته الحالية حتى صارت مساحته الآن ٢٦٣٣٣ ذراعاً أي نحو ١٢٠٠٠ متر .

ومما يذكر بالانشراح ان الامراء الذين كانوا يبذلون الغالي والرخيص في تشييد هذا الجامع وتكبيره كانوا لا يبغون بذلك سوى وجه الله تعالى وخدمة العلم لاحب الظهور والرياء فقد ذكر المؤرخون ان الامير طيبرس مشيد المدرسة الطيبرسية التي هي الآن من ملحقات الازهر لما فرغ من بناء مدرسته وأحضروا اليه حساب نفقاتها استدعى بطست مملوء بالماء وغسل أوراق الحساب بأسرها من غير ان يقف على شيء منها وقال شيء خرجنا عنه لله لا نحاسب عليه .

﴿ تسمية الازهر ﴾

تعددت الاقوال في سبب تسمية هذا المسجد بالازهر فقال قوم من المؤرخين ان الجامع لما بني كان محاطاً بالقصور الزاهرة التي بنيت عند انشاء مدينة القاهرة ولذا سمي بالازهر . وقال آخرون سمي أزهر تفاؤلاً بما سيكون له من الشأن العظيم والمكانة الكبرى بأزهار العلوم فيه . ولكن الحقيقة على ما رواه ثقاة المؤرخين ان الفاطميين ينتسبون للسيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم فسموه أزهر اشارة لاسم الزهراء جدتهم .

﴿ كلمة عن الجامع ﴾

قلنا ان الازهر كما هو أعظم مدرسة اسلامية فهو من أكبر مساجد الاسلام يقيمون فيه الصلاة ويعبدون به خالقهم .

وهو كسائر جوامع الاسلام يشتمل على محل مسقوف للصلاة يسمى مقصورة وآخر

غير مسقوف يسمى صحناً ما يتبع ذلك من ملحقات المساجد من منارات ومغاطس وغيرها وهذا الجامع لا يشتمل على شيء من الزخرف الكبير انما هيبته وعظمته في كبره واتساعه وما امتاز به من شد رحال طلاب العلوم الدينية من عامة البقاع الاسلامية

ومقصورة هذا الجامع تنقسم الى قسمين : المقصورة الاصلية الكبيرة التي هي من انشاء القائد جوهر وبها ٧٦ عموداً من الرخام الابيض الجيد على صفوف متسامتة. والمقصورة الجديدة التي أحدثها الامير عبد الرحمن كتخدا في سنة ١١٦٧ هـ وبها خمسون عموداً من الرخام . فمجموع أعمدة المقصورتين ١٢٦ عموداً واذا أضيف الى هذا العدد ما بملحقات الجامع من الاعمدة لبلغ عددها كلها ٣٧٥ عموداً . وأرض المقصورة الجديدة مرتفعة عن أرض المقصورة القديمة بنحو نصف ذراع بحيث يطلع من القديمة للحديثة بدرجتين . وسقف المقصورتين من الخشب المتقن الصنع . والمقصورتان متلاصقتان احداهما لجانب الاخرى لا فاصل بينهما وفي كلتيهما عدة ملاقف لجلب النور والهواء .

ويسلك من المقصورة القديمة الى صحن الجامع من ثلاثة أبواب . وصحن الجامع مكان متسع وجميعه كشف سماوي مفروش بالحجر يجلس فيه الطلبة للاستدفاء بحرارة الشمس عند اشتداد البرد وينامون به في الصيف عند اشتداد الحر ويصلون فيه عند ازدحام المقصورتين وهو محاط من جهاته الاربع ببوائك قائمة على أعمدة جميلة من الرخام وعلى حيطانه الاربع آيات قرآنية كتبت بخط كوفي جميل .

وكان للجامع عشرة محاريب أزيل منها أربعة وبقي الآن ستة والمشهور منها اثنان : المحراب الاصلي القديم وهو بالمقصورة القديمة الأصلية والمحراب الجديد بالمقصورة الجديدة . ومن غرائب هذا الجامع ان لكل من هذين المحرابين أماما ذا مذهب غير مذهب الامام الآخر . فان امام المحراب القديم شافعي المذهب وامام المحراب الجديد مالكي المذهب . ويوجد بدار الآثار العربية لوح من خشب كان يعلو محراب الجامع الازهر والآن محفوظ بها وقد كتب عليه : « بسم الله الرحمن الرحيم حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين . امر بعمل هذا

المحراب المبارك برسم الجامع الازهر سيدنا المنصور ابو علي الامام الآمر باحكام الله »

وللجامع منبر واحد وهو من الخشب المخروط الجميل الصنع وله خطيب واحد وهو غير الامامين المذكورين يخطب في الجمع والاعياد . والمنبر الاصلي القديم الذي انشىء في بداية تأسيسه نقل للجامع الحاكمي .

وللجامع خمس منارات يؤذن عليها في الأوقات الخمس وفي الاسحار وتوقد في ليالي رمضان والمواسم . وكان له في الأصل عند تأسيسه منارة واحدة . وهنا محل لذكر عادة مستحسنة جرى عليها رجال الأزهر الشريف أخيراً وهي أنه لا يؤذن علي تلك المنارات الا العميان محافظة على عدم كشف عورات المساكن المجاورة لها . ولا يؤذن المؤذنون الا بتنبيه « الميقاتي » المعين للتنبيه على حلول أوقات الصلوات لأن آذان الأزهر ينبني عليه آذان أكثر منارات القاهرة .

ويظهر من كلام المقريزي أن الأزهر ومناراته كانت توقد في أيام الخلفاء الفاطميين بزينة باهرة في المواسم حتى أن الخليفة جعل في قصره منظرة مخصوصة يقعد بها لمشاهدة الزينة وسماها « منظرة الجامع الأزهر » .

وللأزهر تسعة أبواب أشهرها الباب المعروف بباب المزينين وهو شامخ عظيم مرتفع ومنقوش على وجهته من الخارج أبيات مموهة بالذهب مشتملة على تاريخ بنائه وهو سنة ١١٦٧ هـ وهاك الأبيات التي كتبت عليه :

أن للعلم أزهرا يتسامى ... كسماء ما طاولتها سماء
حيث وافاه ذا البناء ولولا ... منة الله ما تسامى البناء
ربة ان الهدى هداك وآيا ... تك نور تهدي به من تشاء
مذ تناهى أرخت باب علوم ... وفخار به يجاب الدعاء

٥ ١٤٦   ٨٨٧ ٧   ١٦   ١٠٦

وهذا الباب الموجود الآن هو من انشاء الامير عبد الرحمن كتخدا . أما الباب الاصلي فهو خلف هذا الباب الجديد وكان يجلس عنده المزينون لحلق رؤوس المجاورين فعرف الباب بذلك .

ومن أهم حوادث الأزهر باعتبار انه جامع انقطاع الخطبة منه مدة مائة عام تقريبا واتخاذه ملجأ يلجأ اليه عند وقوع الخطب .

أما الخطبة فكان الخلفاء الفاطميون عند انشاء هذا الجامع يذهبون بأنفسهم للصلاة بالناس به ويخطبون فيهم واستمرت الخطبة في الأزهر من عهد انشائه لغاية ما تم بناء الجامع الحاكمي في سنة ٣٨٠ هـ وحينئذ صارت مشتركة بين أربعة جوامع فان الخليفة كان يخطب في الجامع الحاكمي خطبة وفي الجامع الازهر خطبة وفي جامع ابن طولون خطبة وفي جامع عمرو بن العاص خطبة . وهاك ما ذكره العلامة تغري بردي الاتابكي في تاريخه النجوم الزاهرة في اخبار مصر القاهرة بخصوص صلاة الخلفاء بالجامع الأزهر : «اذا اراد الخليفة ان يخطب يتقدم متولي خزانة الفروش الى الجامع ويغلق المقصورة التي برسم الخليفة والمنظرة وأبواب مقاصرها ثم يركب متولي بيت المال وعلى يد كل واحد منهما تعليق وفرشه وهي عدة سجادات مفروزة منطقة وباعلاها سجادة لطيفة لا تكشف الا عند توجه الخليفة الى المحراب ثم يفرش الجامع بالحصر ثم يطلق البخور ويغلق أبواب الجامع ويجعل عليها الحجاب والبوابون ولا يمكن أحدان يدخله الا من هو معروف من الخواص والاعيان . فاذا كان حضور الخليفة الى الجامع ضربت السلسلة من ركن الجامع ولا يمكن أحد من الترجل الا عندها ثم يركب الخليفة ويسلم لكل واحد من مقدمي الركاب في الميمنة والميسرة اكياس الذهب والورق والفضة سوى الرسوم المستقرة والهبات والصدقات في طول الطريق ويخرج الخليفة والمظلة بشدة الجوهر على رأسه وعلى الخليفة الطيلسان فعند ذلك يستفتح المقرؤن بالقراءة في ركابه بغير رهجية والدكانين مزينة مملوءة باواني الذهب والفضة فيسير الخليفة الى ان يصل الى وجه الجامع ووزيره بين يديه فتحط السلسلة ويبقى الخليفة راكبا الى باب الجامع الازهر الذي تجاه درب الاكراد فينزل ويدخل من باب الجامع الى الدهليز الاول الصغير ومنه الى القاعة المعلقة التي كانت برسم جلوسه فيجلس في مجلسه وترخى المقرمة الحرير ويقرأ القارئون وتفتح أبواب الجامع حينئذ . فاذا وجب الاذان اذن مؤذنوا القصر كلهم على باب مجلس الخليفة

ورئيس الجامع على باب المنبر و بقية المؤذنين في المآذن فعند ما يسمع قاضي القضاة الاذان يتوجه الى المنبر فيقبل أول درجة و بعده متولي بيت المال ومعه المبخرة وهو يبخر أيضاً ولا يزالان يقبلان درجة بعد أخرى الى ان يصلا ذروة المنبر فيفتح القاضي بيده التزرير ويرفع الستر ويتناول من متولي بيت المال المبخرة وهو يبخر أيضاً ثم يقبلان الدرج ايضاً وهما نازلان بظهورهما و بعد نزولهما يخرج الخليفة والقارئون بين يديه بتلك الاصوات الشجية الى ان يصل الى المنبر و يصعد عليه فاذا صار باعلاه أشار للوزير بالطلوع فيطلع اليه فيقبل الدرج حتى يصل اليه فيزر عليه القبة ثم ينزل الوزير ويقف على الدرجة الاولى و يجهر المقرؤون بالقرآءة ثم يكبر المؤذنون ثم يشرعون في الصمت و يخطب الخليفة حتى اذا فرغ من الخطبة طلع اليه الوزير وحل الازرار فينزل الخليفة وعن يمينه الوزير وعن يساره القاضي والداعي بين يديه والقاضي والداعي هما اللذان يوصلان الاذان الى المؤذنين حتى يدخل المحراب و يصلي بالناس و يسلم فاذا انقضت الصلاة أخذ لنفسه راحة بالجامع بمقدار ما يعرض عليه الرسوم ويفرق الاحسانات وهي للنائب في الخطابة ثلاثة دنانير وللنائب في الصلوات الخمس ثلاثة دنانير وللمؤذنين أربعة دنانير وللمشارف خزانة الفراش وفراشها ومتوليها لكل ثلاثة دنانير »

فلما انتهت دولة الفاطميين وتولى صلاح الدين يوسف بن أيوب سلطنة مصر في سنة ٥٦٧ هـ وقلد وظيفة القضاء لقاضي القضاة صدر الدين بن در باس الشافعي فعمل بمقتضى مذهبه وهو امتناع اقامة خطبتين في بلد واحد فمنع الخطبة من الجامع الازهر وأقرها في الجامع الحاكمي لانه كان اكثر اتساعاً من الازهر وقتئذ فان مساحة الازهر كانت ١٣٠٠٠ ذراع ومساحة الجامع الحاكمي ٣٦٠٠٠ ذراع

ومكث الازهر معطلا عن اقامة الجمعة مائة عام تقريباً . فلما استولى السلطان الظاهر بيبرس الملك في سنة ٦٥٨ هـ تحدث في اعادتها فامتنع قاضي القضاة ابن بنت العز الشافعي عن ذلك فولى السلطان قاضيا حنفياً وأذن في اعادتها

وقد اتخذه المسلمون ملجأ ولجأوا اليه كلما اشتد بهم خطب فقد ذكر المؤرخون « ان أتباع محمد بك الالفي — من أمراء المماليك — ظلموا أهل قرية بلبيس فجاء

أهلها صارخين ملتجئين الى الازهر فقام شيخه وعلماؤه وذهبوا لابراهيم بك — وهو حاكم القطر المصري وقتئذ — وطلبوا منه رفع المظالم وبعد أخذ وعطاء استقر القرار على رفع المظالم وان يكف الامراء وأتباعهم عن مد أيديهم لاموال الناس ويسيروا في الناس سيرة حسنة وكتب القاضي حجة بذلك ...

وذكر المؤرخون أيضاً: «انه في سنة ١٢٢٠ ﻫ أكل العساكر الدلاتية (نوع من عساكر الترك) الزرع وخطفوا ما صادفهم من الفلاحين والمارين وأخذوا النساء للافساد فحضر الناس رجالاً ونساء الى الجامع الازهر يستغيثون فخاطب المشائخ الباشا والي مصر في ذلك فكتب للدلاتية بترك الدور لأهلها»

﴿ الكلام على الازهر باعتبار كونه مدرسة ﴾

﴿ التدريس في الجوامع ﴾

من المشاهد في سائر البلاد الاسلامية ان التعليم يقع في الجوامع والمساجد والاضرحة ويندر ان يخرج محله عن ذلك ولعل الباعث عليه ان منشأ التعليم عندنا انما هو تعلم العلوم الشرعية الدينية للزوم ذلك في الهيئة الاجتماعية الاسلامية لاشتمال الدين على أحكام السياسة فهي في آن واحد علوم للدين وعلوم للدنيا فلم يرَ المسلمون في بداية الامر في محل أليق بتعليم الدين من بيوت الله التي شيدت لاقامة شعائر الدين . ثم ان التدريس في الجوامع ابتدأ في أوائل ظهور الاسلام وحرص الخلفاء الراشدين على صرف أموال المسلمين أمر مشهور (١) فلم يبنوا جملة محلات عمومية كمحاكم للتقاضي ومدارس للتعليم ودورا للندوة وأخرى للوزارة وجوامع للصلاة بل كان الجامع لكل ذلك. به يصلي المؤمنون وبه قضى بعض الخلفاء الراشدين وبه خطبت الخطب السياسية المتعلقة ببسط حال الامة في أمور معاشها وما وصلت اليه جيوشها من الفتوحات وبه ابتدأ التدريس

(١) ذكر الغزالي ان أمير المؤمنين سيدنا أبا بكر حسب جميع ما كان أخذه من بيت المال فبلغ ستة آلاف درهم فغرمها لبيت المال

ومن ثم بقيت هاته العادة وانتشرت في كافة البلاد الاسلامية واختصت المساجد بتدريس العلوم

﴿ كيف كبرت مدرسة الازهر ﴾

لما بني الازهر لم يكن بمصر من الجوامع الكبيرة سوى اثنين أولها جامع عمرو ابن العاص الذي شيده بمدينة الفسطاط سنة ٢١ هـ . عند ما افتتح المسلمون بلاد مصر وثانيهما جامع احمد بن طولون الذي بناه في حوالي سنة ٢٤٧هـ . في جهة القطائع [١] فلما تم تشييد الازهر في أواخر القرن الرابع وأجرى الخلفاء الفاطميون على من به من العلماء والطلبة الارزاق المختلفة وشيدوا لهم محلات للسكنى وأمروا بتدريس مذهبهم الفاطمي به وصاروا يذهبون بأنفسهم لهذا الجامع للصلاة بالناس وللوقوف على حاله كما رأيت في غير هذا المحل اشتغلت العلماء والطلبة به اشتغالا يفوق اشتغالها بما عداه من الجوامع وانقطعوا للعلوم واعتنوا بها اعتناء كبيرًا لما رأوا من اقبال خلفائهم على تعضيدها والناس على دين ملوكهم

ذكر المقريزي « ان أول من رتب من الملوك لأهل الجامع الازهر وبنى لهم مسكنًا هو الملك العزيز بالله نزار بن الملك المعز لدين الله . وان أول من رتب لهم من الامراء صلة وزيره أبو الفرج يعقوب بن يوسف وقد سأل هذا الوزير في سنة ٣٦٥ الخليفة في صلة رزق جماعة من الفقهاء فأطلق ما يكفي لكل واحد منهم من الرزق الناض [٢] وأمر لهم بشراء دار وبنائها فبنيت بجانب الجامع الازهر فاذا كان يوم الجمعة حضروا الى الجامع وتحلقوا فيه بعد الصلاة الى ان تصلي [٣] العصر وذلك لقراءة الفقه على مذهب الفاطميين وكانوا شيعة اسماعيلية وكانت عدتهم ٣٥ رجلا وخلع عليهم العزيز بالله يوم عيد الفطر وحملهم على بغال » وذكر المقريزي في محل آخر « وجعل الحاكم بأمر الله للجامع الازهر تنورين وسبع وعشرين قنديلا من الفضة وشرط ان تعلق فيه في شهر رمضان » فكيف لا تكبر مدرسة الازهر وكيف لا يكثر الاهتمام بها

(١) هي جهة بين الفسطاط وبين القاهرة (٢) من النقد (٣) هكذا رواية المقريزي

وكيف لا تقبل الطلبة عليها من كل صوب وعناية الخلفاء الفاطميين بها كما رأيت

﴿ إجراء الأرزاق على المشتغلين بالأزهر ﴾

لما كان قوام الأمور النافعة في العالم لا يكاد يتم الا بمساعدة المال وبقاء الأعمال لا يكون الا ببذل النفيس في وجوهها للمحافظة على سلامة مستقبلها لم يكتف الخلفاء الفاطميون واتباعهم من اجرآء الارزاق على المشتغلين في الأزهر وايصال الصلات اليهم بل اوقفوا هم ومن تبعهم من الامرآء والكبرآء والأغنياء من أكثر الدول التي حكمت مصر الاوقاف الجزيلة ذات الريع الوافر وأطعموا به فقرآء الطلبة ووسعوا عليهم في المواسم الدينية .

ذكر المقريزي « ان أول من أوقف على الازهر الأوقاف هو الخليفة الحاكم بأمر الله » ثم تبعه في اسداء الخيرات على هذا الجامع الشريف كثير من الامراء ومحبي البر من المتقدمين والمتأخرين .

هذا الأمير الناصري [١] رتب للفقرآء المجاورين طعاماً يطبخ كل يوم وأنزل للجامع قدوراً من نحاس جعلها فيه .

وهذا الملك قانصوه الأشرف [٢] رتب الخزيرة (وهي نوع من العصيدة بلحم) في شهر رمضان لكل الطلبة .

وهذا الملك قانصوه الغوري [٣] رتب في شهر رمضان من كل سنة ٦٧٠ ديناراً تصرف على مطبخ الأزهر ومائة قنطار من العسل وخمسمائة أردب من القمح

وهذا الأمير عبد الرحمن كتخدا [٤] زاد في مرتبات الجامع واخبازه ورتب لمطبخه في أيام رمضان في كل يوم خمسة ارادب من الأرز وقنطاراً من السمن وراساً من الجاموس وشيئاً كثيراً من الزيت والوقود وجعل للمجاورين في يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع طعاماً لذيذاً يقال له « الهريسة » .

---

(١) — أحد أمراء المماليك (٢) — المتولي سلطنة مصر في سنة ٩٠٤ هـ

(٣) — المتولي سلطنة مصر في سنة ٩٠٦ (٤) — أحد أمراء الاتراك

ومما يذكر بالاعجاب عناية أعضاء العائلة الكريمة الخديوية بهذا الجامع الشريف فان أميرات هذا البيت الكريم تبارين مع أمرائه الفخام وابين ان يفضلهن الامراء في مضمار البر واسداء المعروف للعلم ورجاله فاوقفت عليه المرحومة المبرورة الاميرة زينب هانم كريمة ساكن الجنان محمد علي باشا مؤسس العائلة الفخيمة الخديوية أوقافاً كثيرة لا يقل ايرادها في السنة عن نصف مليون من الفرنكات (١) (عشرين الف جنيه)

وأوقفت المرحومة الاميرة جميلة هانم كريمة ساكن الجنان اسماعيل باشا خديوي مصر أوقافاً عظيمة عليه أيضاً

ولم يقتصر أمراء مصر وأغنياؤها على ايقاف الاوقاف العظيمة على هذا الجامع بل رأينا بعض أمراء البلاد الاسلامية الاخرى يجارونهم فيها ويوقفون أوقافاً جزيلة على هذا الجامع أيضاً فمنهم أمير الامراء محمد باي بن مراد باي بن الامير الكريم محمد باشا بن مراد باشا حاكم ولاية تونس في سنة ١١٠٥ هـ .

والاوقاف الموقوفة على الجامع الآن تنقسم الى قسمين

القسم الاول نظارته بيد مشائخ الاروقة ومجموع ايرادات هاته الاوقاف الخصوصية لا تزيد عن ١٥١٢ جنيهاً في السنة

والقسم الثاني وهو الاعظم نظارته بيد ديوان عموم الاوقاف المصرية

وقبل عهد انشاء ديوان عموم الاوقاف (٢) كانت الاعيان الموقوفة مسلمة ليد من يعينهم القاضي الشرعي نظارا على تلك الاوقاف . وقد أهمل كثير من أولئك النظار في حفظ الاعيان الموقوفة فتلاعبت بهـا الايدي واندثرت .

ولو بقيت كل تلك الاوقاف لكان للازهر اليوم ايراد يفوق ايراده الحالي باضعاف مضاعفة فان ايرادات أوقافه المالية لا تزيد عن ٨٠٠٠ جنيه

والارزاق التي تعطى للمشائخ المدرسين وللطلبة مقسمة الى ثلاثة أقسام

القسم الاول — هو المرتب المالى الذي يعطى لكل مدرس ولعدد معين من

---

(١) هذا الايراد العظيم لم يعط بعد للازهر والمحاكم المصرية مشتغلة الآن بالنظر في قضاياه (٢) تأسس هذا الديوان في عهد ساكن الجنان الخديوي عباس باشا الاول

الطلبة في كل شهر ·

القسم الثاني — هو الخبز الذي يعطى لكل مدرس ولعدد معين من الطلبة في كل يوم · وهذا ما يسمى « بالجرايه »

القسم الثالث — هو المآكل والملبوسات التي كانت تعطى في المواسم واستبدلت الآن بعوض مالي ·

وقد كانت هاته المرتبات المختلفة سبباً من الاسباب التي عمرت الازهر بالطلبة القادمين اليه من كل فج وسهلت لهم الانقطاع للاشتغال بالعلم دون سواه من الامور المعاشية · فان الطالب متى كان مطمئن البال من سكناه بما بني له من الاروقة وآمنا على مأكله وملبسه بما يجري عليه من الرزق تفرغ للمطالعة والدرس بعيداً عن الاضطراب بهموم المعاش ·

ومما يحسن سوقه هنا لبيان العناية الزائدة بأمر علماء الازهر وطلبته قديماً وحديثاً ان العالم المدرس اذا توفي عن أولاد أجري بعض رزقه عليهم وكلفوا بالاشتغال بطلب العلم (١)

وان الحكومة الخديوية الجليلة تدفع من ماليتها مساعدة عظيمة قدرها ٦٦١١ جنيهاً للصرف على شؤون طلبة العلم وخدمته سنوياً ·

ومن نوادر ماوقع بالازهر اهتماماً بطلبته ان الامير بهادر لما تولى نظارة هذا الجامع في عهد السلطان برقوق (٢) استصدر أمراً من السلطان المذكور بأن من مات من مجاوري الازهر عن غير وارث شرعي وترك موجوداً فانه يأخذه أقرانه من المجاورين

﴿ سكن الطلبة ﴾

سبق الكلام على ان أول من بني سكناً للطلبة هو الخليفة الفاطمي العزيز بالله · ثم من بعده أخذ الامراء ووزراؤهم وأغنياء الامة المصرية وبعض من الترك والمغاربة في المباراة في تعمير الازهر وتكبيره بتشييد الاروقة للمجاورين فبنيت الاروقة الحالية

(١) — انظر قانون الازهر المعمول به الآن (٢) — المتولي الملك في سنة ٧٨٤

شيئاً فشيئاً وفرشت بما لزم لها من الفرش وصارت مساكن يسكن بها الطلبة وأعدت بجانبها محلات للغسل وأخرى للوضوء وغيرها لطبخ الطعام ووصلت بنفس الجامع بحيث ان الطالب لم يعد يحتاج للخروج من الازهر الا نادراً كأنه في آن واحد بين بيتـه ومدرسته فهو يمسي ويصبح مع أقرانه منكباً على التعليم غير مشتغل بشيء سوى فهم مسئلة أو تقرير عبارة .

وهاته المساكن سهلت على الطلبة الغربة التي يتكبدونها للسعي وراء العلم ونشطت الفقير وجلبته من أقاصي البلاد وآخت بين افراد الامة الاسلامية المتباعدة ديارهم فترى الكردي لجانب الهندي . والسوداني لجانب الافغاني . والحبشي لجانب المراكشي والمصري لجانب الجاوى . والجركسي لجانب التونسي . والجزائري لجانب الشامي والكل عامل فى قدح زناد فكره لتلقي الدروس مرتبطين برابطة الولاء والصفاء تراهم يأكلون من وعاء واحد ويشربون من قدح واحد ويثقفون أفكارهم برأي أستاذ واحد يقودهم برأيه الى حيث يشاء كأنما هم أهـل بيت واحد والمدرس بينهم أبوهم القائم عليهم .

والرواق عبارة عن منزل معد لسكن الطلبـة وينقسم الى غرف ومرافق وبكل غرفة من غرفه دواليب لوضع الملابس والكتب .

ولكل جهة من جهات القطر المصري ولكل اقليم من الاقاليم الاسلامية الاجنبية عن مصر رواق بالازهر

﴿ وهاك بيان الأورقة ﴾

أولا — الاروقة المصرية :

(١) رواق الصعايدة (٢) رواق البحيرة (٣) رواق الفيمة (٤) رواق الطيبرسية [١] (٥) رواق الابتغاوية [٢] (٦) رواق الحنفية [٣] (٧) رواق الفشنية (٨) رواق

---

(١) — جعل هذا الرواق الآن كتبخانة للازهر ونقل طلبته للرواق العباسي وهم من سكان مديرية الغربية (٢) — لمديريات الغربية والمنوفية (٣) — للاحناف من أهل مصر

ابن معمر [٤] (٩) رواق الشراقوه (١٠) رواق الحنابلة (١١) الرواق العباسي [٥]

٢ ومما يستلفت الانظار زاوية العميان وهي رواق خاص بهم لا يسكنه الا كفيفو البصر وشيخهم منهم .

ويلحق بالاروقة الحارات (الحارة هي شبه رواق غير انها تختلف عنه بعدم وجود محل بها للنوم) وهاك بيانها .

حارة البشابشة . حارة السليمانية . حارة الزراقة . حارة النفاروة . حارة البجرمية . حارة العفيفي . حارة المناصرة . حارة الممشا . حارة الجيزاوية . حارة الجوهرية . حارة الزهار . حارة الشناوية . حارة الاجاهرة . حارة الواطئية .

ثانياً أروقة الاقاليم الاسلامية الاجنبية عن مصر — وهاك بيانها :

رواق الحرمين الشريفين	لسكان الحجاز .
« دكارنة دارفور	لاهل دارفور من السودان .
« الشوام	لاهل الشام .
« الجاوة	لاهل جزيرة جاوة وما جاورها .
« السليمانية	لاهل أفغانستان .
« المغاربة	وبه أقسام: قسم للمراكشيين وآخر للجزائريين وآخر للتونسيين وآخر للطرابلسيين .
« السنارية	لاهل سنار من السودان .
« الاتراك	للترك .
« الدكارنة البرناوية	لاهل برنو من السودان .
« الجبرت	وهو للاحباش المسلمين .
« اليمن	لاهل اليمن وحضرموت .
« الاكراد	للاكراد .

(٤) — يستحق الدخول فيه من لم يكن له جهة مخصوصة بالازهر من أهل القطر المصري (٥) — وهو في الحقيقة جملة أروقة تم تشييده في عصر مولانا الخديوي عباس باشا الحالي

رواق الهنود	لاهل الهند .
« البغدادية	لاهل بغداد وما جاورها .
« دكارنة صليح	لاهل صليح من السودان .
« البرابرة	وهم سكان أعالي الصعيد ما بين مصر والسودان .

وليس للعجم (الفرس) رواق بالازهر لانهم من أهل الشيعة .

وأكبر أروقة الازهر : رواق الاتراك . ورواق الشوام . ورواق المغاربة . ورواق الصعايدة ولمشايخهم تقدم على سائر مشايخ الاروقة الاخرى ويعطى لهم من نظارة الداخلية عند تعيينهم دون سائر مشايخ الاروقة خلع وهي عبارة عن كرك أخضر يلبسه الشيخ في الوزارة المذكورة في موكب حافل يحضره كثير من العلماء .

ولما كثرت الطلبة وصارت الاروقة لا تسع عددها اضطر الكثير منهم للسكنى خارج الازهر .

وتجتمع الطلبة في أروقتها عند صرف جراياتهم ومرتباتهم عليهم ويقرأون فيه القرآن الشريف إن اشترط ذلك الواقف

ولكل رواق شيخ ينتخبه نفس الطلبة ليكون مراقباً عليهم (في غير العلوم ومايتعلق بها) يفصل الخصومات بينهم ويدافع عن حقوقهم ويلاحظها ويخاطب في شأنها شيخ الجامع .

وكل رواق مفروش بحصر تغير كل ستة أشهر والطلبة اغلبهم فقراء يغسلون ثيابهم بأنفسهم ويحضرون كافة ما يحتاجون اليه من المآكل بأنفسهم وأسرتهم الوحيدة هي فراو يرقدون عليها .

ومع هذا الاختلاط وبساطة العيش وتساوي جميع الطبقات في الازهر فالرضا بالقليل والقناعة بشظف العيش محبة في تلقي العلوم هو شأن غالب الطلبة . فلا تجد بينهم في الغالب من يدعوه تنوره بالعلوم وامتيازه بها الى الحسد والتطلع لما في أيدي الغير من بقية الطبقات هنا . فالعلوم تصلح من أخلاقه ولا تجعله في مضض من نعمة الغير وان يرى نفسه

مستحقاً لها دونه. وهذا هو السبب في عدم سريان مثل داء الاشتراكية بين هؤلاء الطلبة في هذا الاجتماع العظيم المستديم. نعم ان أحكام الدين الاسلامي في العدل والمساواة والاخاء وفريضة الزكاة والتصدق مما يساعد على هذه الراحة والانشراح الذي يتمتع به أولئك الطلبة من المسلمين . وهم مع شدة محافظتهم على واجبات دينهم لا يوجد للتعصب الديني اثر بين المتعلمين منهم كما سنبين اسباب ذلك في غير هذا المحل

﴿ وفود من سائر البقاع الاسلامية الى الازهر ﴾

﴿ وشهرة الازهر في بلاد الاسلام ﴾

ان الاعتناء الكبير الذي بذل للاهتمام بأمر الازهر في بداية نشأته وفي زمن السلطان الظاهر بيبرس جذب اليه من سائر البقاع الاسلامية الوفود المختلفة من مشارق الارض ومغاربها فامه التركي والمغربي والجركسي واليمني والزنجباري والجبرتي والهندي والافغاني ووجدوا جميعا من حفاوة المعتنين بالازهر ما حبب اليهم القعود في هذا الجامع الشريف السنين الطوال مفضلين التعلم به عن التعلم في أوطانهم مع كثرة وجود المدارس الاسلامية فيها خصوصا والعلماء الذين كانوا ولا زالوا قائمين بالتدريس فيه هم بوجه الاجمال اكثر توسعا في التدريس وانقطاعا للعلوم من غيرهم من علماء البقاع الاخرى ومن جهة ثانية فان الارزاق التي أجريت على الطلبة ساعدت على جلب الناس من أقصى بقاع الارض وأضف الى ذلك ان الازهر في مدينة القاهرة التي هي من اكبر مدن البلاد الاسلامية فيود كثير من سكان البلاد الاسلامية الاخرى أن يفدوا اليها لرؤيتها والسكنى بها وطلب العلم بأزهرها فاشتهر اسم الازهر بذلك في الآفاق وأصبح طائر الصيت فعظمته الامم الاسلامية كلها وصارت تعز وتجل متخرجيه وأصبح المسلمون كافة يعتقدون فيه انه ينبوعا لتعاليمهم الدينية من الاحكام الاجتماعية والعقائد الشرعية

حدثنا الكثير من الاقطار المختلفة ممن شافهناهم واثقين بهم ان المتخرج الازهري حيثما كان عراقيا أو كرديا لا يعادل به أغلب سكان تلك الاقطار اكبر عالم لديهم لم

يخرج من الجامع المذكور فترى لهم من الخضوع لعالمهم الازهري والاصغاء لقوله والصدع بأمره ما ليس لغيره من العلماء حتي بلغ من ذلك ان مجرد انتساب الرجل للازهر في بعض الاقطار الاسلامية كاف في سماع قوله واطاعة امره وهذا من أعظم الاسباب التي جلبت وفود بعض أهالي البلاد القاصية الى الازهر للتعلم كي يصل بذلك الى اجلال قومه له واكبارهم اياه. فكان الازهر لدى عامة المسلمين مكان السويداء من الفؤاد فتراهم متهللين مستبشرين اذا حدثوا بحديث تعظيمه وحسن العناية بأهله نادمين اذا القى اليهم ضد ذلك معتقدين ان اصلاحه اصلاح للاسلام وصدعه صدع للدين وخرق لسياجه.

﴿ ما كان يدرس في الازهر وما يدرس فيه اليوم ﴾

ان الدين الاسلامي الحنيف لايمنع من تعلم أي علم من العلوم المعروفة الآن بين الازهريين بالعلوم الحديثة كالرياضيات والطبيعيات والعقليات وغيرها من العلوم التي تقوي ملكة الفكر. ومن كان في شك مما نقول فما عليه الا أن يلقي نظرة على تاريخ القرون الاولى من الاسلام ومحافظتها على الدين مشهورة فيرى ان جيدها كان مزدانا بكثير من فحول العلماء الذين نبغوا في هاته العلوم النافعة والفوا فيها المؤلفات العظيمة وبثوا فيها التعاليم المفيدة ونشروها في اطراف الارض قاطبة

وكان المسلمون كافة من خليفتهم لأميرهم لوزيرهم يتضافرون للأخذ بيد هاته العلوم العقلية ومن يشتغل بها لما رأوا من فائدتها معاشا ومعادا. ذكر صاحب كشف الظنون: «ان الخليفة الثاني من اهل العباس ابو جعفر المنصور مع براعته في الفقه كان مقدما في علم الفلسفة محبا لأهلها وبالأخص علم النجوم»

وعلمنا التاريخ: «ان الخليفة العظيم المأمون العباسي كان يضطهد اعداء الفلسفة» وذكر لنا التاريخ: «ان الامير صالح بن مرداس صاحب حلب خرج الى قرية المعرة وقد عصى اهلها عليه فنازلها وشرع في حصارها ورماها بالمنجنيق فلما احس اهلها بالغلبة سعوا الى ابي العلاء المعري المشهور بتطرفه في الفلسفة وسألوه ان يخرج ويشفع فيهم

فخرج ومعه قائد يقوده (لانه كان كفيف البصر) فأكرمه الامير واحترمه ثم قال له : « ألك حاجة » . قال المعري : « الامير أطال الله بقاءه كالسيف القاطع لان متنه وخشن حده وكالنهار الماتع اشتد هجيره وبرد اصيله خذ العفو وأمر بالمعروف واعرض عن الجاهلين » . فقال الأمير : « قد وهبتها لك وترحل عنها » . فانظر كيف وهب الامير بلدا عصى أهله لفيلسوف .

وهذا عمر بن عيسى رئيس المعتزلة وهذا عمران بن حبطان الخارجيُّ كانا من الرواة الذين اعتمدهم الامام البخاري صاحب الصحيح . فانظر كيف كان لامام من اعظم أئمة السنة ان يصـل سنده في الحديث بمتطرفين في الرأي فيلسوفين أحدهما رئيس من رؤساء المعتزلة والآخر خارجيٌّ .

وذكر الامام ابو قاسم الحسين الاصفهاني في كتابه المسمى بالذريعة الى مكارم الشريعة : « حق الانسان ان لا يترك شيئا من العلوم امكنه النظر فيه واتسع العمر له الا ويخبر بشمه عرفه وبذوقه طيبه ثم ان ساعده القدر على التغذي به والتزود منه فبها ونعمت والا لم يُبصر لجهله بجهله ولغباوته عن منفعته الا معاديا له بطبعه فمن جهل شيئا عاداه والناس اعداء ما جهلوا بل قال تعالى (واذ لم يهتدوا فسيقولون هذا افك قديم) وحكى عن بعض الفضلاء انه رُؤيَ بعد ما طعن في السن وهو يتعلم اشكال الهندسة فقيل له في ذلك فقال وجدته علماً نافعاً فكرهت ان أكون لجهلي به معادياً له ولا ينبغي لعاقل ان يستهين بشيء من العلوم . فانظر كيف كان المتقدمون ينظرون لكافة العلوم ويعتنون بها لينوروا بها أفكارهم ويوسعوا بها معارفهم للانتفاع بما تجره من الخير .

فبقيت تلك العلوم النافعة المعروفة الآن بيننا بالعلوم الحديثة منتشرة زاهرة بين المسلمين لا يرمون من قراءها بزيغ العقيدة ولا من استمها بالضلالة والكفر . ومكث الحال على ذلك الى ان صارت السلطة الحقيقية في الدولة الاسلامية للاعاجم من التتار والمغول . ولم يكن لأغلب أولئك الاعاجم ذلك العقل الذي راضه الاسلام الناهي عن الاستبداد والقلب الذي هذبه دين ذلك الصديق الذي جعل أول خطابه للناس

بعد المبايعة : « ان رأيتموني على حق فأعينوني وان رأيتموني على باطل فردوني » . بل جاؤا الى الاسلام بخشونة الجهل يحملون ألوية الظلم كأنهم لبسوا الاسلام على أبدانهم ولم ينفذ منــه شيء الى وجدانهم (١) فانقلب الحكم في أيامهم من الشورى الى الاستبداد ولكنهم وجدوا امامهم عقبة كبرى تمنعهم من مطلق التصرف في عباد الله . تلك العقبة هي العلوم التي تعرف المرء قيمته وحقوقه وتدفعه لطلبها اذا رآها مهضومة وتعلمه ان لايقتنع بشيء يقال له ولو في أمور الدين مالم يكن مقترناً بالدليل والبرهان . فلم ير الامراء طريقاً اسهل وصولا لنيل مرادهم من اطفاء نور العلم الا محو العلوم خصوصاً العقلية منها وتقليص ظلها . فمالوا على العــلم ميلة كانت هي القاضية . فاتسع المجال حينئذ لقصاصي السوء ووعاظ الشر ان يحشوا ما شاؤا في كتب الدين بما هو براء منه وكرهوا الناس بموضوعاتهم الكاذبة عن طلب الثمرة الحقيقية التي تطلب من تعلم العلوم . ومن ذلك العهد اخذت الهمم في القعود والعزائم في الخمول والقرائح في الجمود وهجرت العلوم التي اخترعها المسلمون وقد بلغ عددها وحدها مائة وتسعين علماً (٢) وصار كل علم لا يفهم بسبب ما طرأ على القرائح من الجمود يقال عنــه فى بادىء الامر ان قراءته غير مستحبة أو مكروهة ثم تترقي تلك الكراهة شيئاً فشيئاً الى التحريم وانقلبت اوضاع التعليم حينئذ من واسع الاطلاق والبحث عن علل الاشياء وحقائقها الى ضيق التقليد والاكتفاء بالاخذ بظواهر العبارات التي قالها المتقدمون بلا تنقيب عن أدلتهم التفصيلية ولو لمعرفة استخراج النتائج من مقدماتها ولا بحث عن اولئك المتقدمين هل هم من أئمتنا الراسخين فى العلم الذين يطمئن القلب للأخذ بأقوالهم أم هم من أولئك المبتدعين المتلبسين بلباس السنة الذين تعمدوا الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضعهم الاحاديث . ولكن رغماً عن هذا التأخر العلمي العام فان سماء عرفان الامة الاسلامية ما كان يخلو من نجوم ثواقب تشرق بأنوار علمها على حالك الجهل السائد وتقاوم بما في طاقتها وتجاهد مجاهدة الابطال لاعادة حالة التدريس الى ما كانت

(١) أنظر كتابات الاستاذ العلامة الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية فى هذا الموضوع (٢) راجع كتاب كشف الظنون

عليه في أيام عزنا ومجدنا العلمي ·

هاته هي أدوار التعليم في العالم الاسلامي أجمع من بداية ظهوره لليوم وهي هي بنفسها التي مرت على الازهر في أدوار مختلفة ·

ذكر المقريزي : « ان أول ما دُرس بالازهر الفقه الفاطمي على مذهب الشيعة فانه فى شهر صفر سنة ٣٦٥ هـ جلس عليٌّ بن النعمان القاضي بجامع القاهرة المعروف بالجامع الازهر وأملى مختصر أبيه فى الفقه عن أهل البيت ويعرف هـذا المختصر « بالاقتصار » وكان جمعاً عظيما واثبت اسماء الحاضرين » ·

واعتنى الخلفاء الفاطميون كثيرًا بنشر مذهبهم باغداق نعمهم على المشتغلين به من العلماء والطلبة ·. ذكر المقريزي : « ان الوزير يعقوب بن كلس لما تولى الوزارة في أيام الخليفة العزيز بالله رتب فى داره العلماء من الادباء والشعراء والفقهاء والمتكلمين وأجرى لجميعهم الارزاق والف كتابا في الفقه يتضمن ما سمعه من المعز لدين الله ومن ابنه العزيز بالله وهو مبوب على أبواب الفقه يشتمل على فقه الطائفة الاسماعيلية ونصب له مجلسا في يوم الثلاثاء يجتمع فيه الفقهاء وجماعة من المتكلمين وأهل الجدل وأجرى الارزاق وكان يجلس ايضاً في يوم الجمعة فيقرأ مصنفاته على الناس بنفسه وأجرى الخليفة العزيز بالله لجماعة من الفقهاء يحضرون مجلس الوزير ويلازمونه أرزاقا تكفيهم فى كل شهر وأمر لهم ببناء دار الى جانب الجامع الازهر فاذا كان يوم الجمعة تحلقوا فيه بعد الصلاة الى ان تصلي صلاة العصر وكان لهم من مال الوزير أيضاً صلة فى كل سنة وعدتهم خمسة وثلاثون رجلا وخلع عليهم العزيز بالله في يوم عيد الفطر وحملهم على بغال » · فساد المذهب الفاطمي على مذاهب أهل السنة التي كانت منتشرة في مصر قبل الفتح الفاطمي (وهما المذهب الشافعي والمالكى) وصار هو المذهب المعمول به في القضاء والفتيا وانكر ما خالفه ولم يبق ظاهرًا مذهب سواه · ذكر المقريزي : « في سنة ٣٨١ هـ ضرب رجل بمصر وطيف به في المدينـة من أجل انه وجد عنده كتاب الموطأ لمالك بن أنس رحمه الله » ·

وبقي الازهر منبتاً للفقه الفاطمي الى أن بني الجامع الحاكمي في سنة ٣٨٠ هـ

فتحلق فيه حينئذ الفقهاء الذين يتحلقون في الجامع الازهر ¤

وبقي مذهب الشيعة منتشرا في مصر قضاء وفي الازهر دراسة الى ان انقرضت دولة الفاطميين سنة ٥٦٧ هـ ؟

فسادت لمصر حينئذ السنة المحمدية وأول مذهب سني درس بالازهر المذهب الشافعي وانقرض من ذلك الحين المذهب الشيعي ولم يبق له بالازهر من أثر سوى الجراية من الخبز تعطي لمن هو متمذهب بهذا المذهب .

وهذه الجراية تصرف الى يومنا هذا وقلل عددها شيئاً فشيئاً حتى صارت الآن تسعة أرغفة في اليوم تعطي لطالب من الذين يقرأون المذهب الفاطمي الآن بمصر بمدرسة صغيرة خاصة بهم

ويظهر من عناية الخلفاء الفاطميين بالعلوم الرياضية والفلكية والطبية والجغرافية ان تلك العلوم لا بد وأن تكون قد درست في الازهر في زمانهم اذ يبعد على من كانت مكتبتهم محتوية على مائة الف مجلد منها ستة آلاف في الطب وعلى كرتين سماويتين احداهما من الفضة يقال ان صانعها بطليموس بنفسه وانه أنفق عليها ثلاثة آلاف دينار وعلى خرط جغرافية ثمينة كالتى ذكرها المقريزي بقوله : « دخل هذه المكتبة (مكتبة الفاطميين) أحد السياح فرأى فيها مقطعاً من الحرير الازرق غريب الصنعة فيه صورة اقاليم الارض وجبالها وبحارها ومدنها وأنهارها ومساكنها وجميع المواطن المقدسة مبينة للناظر مكتوبة أسماء طرائقها ومدنها وجبالها وبلادها وأنهارها وبحارها بالذهب وغيرها بالفضة والحرير » . أن لا يقرأون تلك العلوم الفلكية والرياضية والجغرافية والطبية بأزهرهم .

ولما انقرضت دولة الفاطميين واستولى صلاح الدين يوسف بن أيوب على ملك مصر شرع في تغيير الدولة الفاطمية وازالتها وانشأ بمدينة مصر مدرسة للفقهاء الشافعية وأخرى للفقهاء المالكية وصرف قضاة مصر الشيعة كلهم وأبطل الخطبة والتدريس (٢) من الجامع الازهر رغبة منه فى ازالة كل أثر للفاطميين .

---

(١) روى ذلك بعض المؤرخين

وبقيت الدراسة معطلة في الازهر الى زمن الملك السلطان الظاهر بيبرس من ملوك الجراكسة فلما تولى هذا السلطان ملك مصر في سنة ٦٥٨ ﻫ أعاد للازهر حياته العلمية والدينية بسعي أحد أمراء دولته وهو الامير عز الدين ايدمر الحلي وذلك ان الامير المذكور جاور الازهر بالسكنى فراعى حرمة الجوار وانتزع له أشياء كانت مغصوبة وأطلق له من السلطان جملة من المال وعمر الواهي من أركانه وجدرانه وأصلح سقوفه وبلطه وفرشه حتى عاد جديدا بعد ما كان باليًا ·

وأول مادرس بالازهر من مذاهب أهل السنة مذهب الامام الشافعي رضي الله عنه كما قدمنا ثم أدخلت اليه المذاهب الاخرى تباعًا ·

واتجهت العناية الكبرى حينئذ لاتقان تدريس العلوم الدينية بوجه خاص وتسابقت همم الفحول في اتقان آلاتها من نحو وصرف وعلوم بلاغة فنبغ حينئذ بمصر أئمة أعلام يفتخر بهم اليوم العالم الاسلامي أجمع كالامام عز الدين بن عبد السلام والامام السبكى وأبنائه · والشهاب القرافي · وابن هشام · والسراج البلقيني · وجلال الدين السيوطي وغيره من المصريين · وابراهيم بن عيسى الاندلسي · وعز الدين عمر بن عبد الله عمر القدسي · والامام الاصبهاني · والامام الزيلعي · وابن الحاج محمد العبدري الفاسي · وأبو حيان محمد بن يوسف الغرناطي · وتاج الدين التبريزي · والحافظ العراقي والحافظ بن حجر العسقلاني · وعلاء الدين الحموي · والرضى الشاطبي · ومحمد بن محمد البغدادي · وشيخ الاسلام زكريا الانصاري · وقاسم بن محمد التونسي · وغيرهم من الذين رحلوا من أقاصي الارض لمصر لتعلم العلم بأزهرها ·

وكانت العلوم العقلية من رياضية وغيرها تدرس أيضًا ولكن المشتغلين بها ندر من الطلبة ·

وأخذ القول بحرمة بعض العلوم العقلية يتسرب شيئًا فشيئًا للازهر كما تسرب لغيره من الجوامع الاسلامية الاخرى حتى تركت هذه العلوم من الازهر شيأ فشيأ قال الجبرتي : « كان الوزير أحمد باشا كور المتولي على مصر في سنة ١١٦١ ﻫ من أرباب الفضائل وله رغبة في العلوم الرياضية فلما استقر بقلعة مصر قابل صدور العلماء

منهم الشيخ عبد الله الشبراوي شيخ الازهر فتكلم معهم في الرياضيات فقالوا : « لا نعرف هذه العلوم فتعجب وسكت وكان للشبراوي وظيفة الخطابة بجامع السراية فكان يطلع يوم الجمعة ويدخل عند الباشا فقال له الباشا : « المسموع عندنا بالديار التركية ان مصر منبع الفضائل والعلوم وكنت في غاية الشوق الى المجيء اليها فلما جئتها وجدتها كما قيل « تسمع بالمعيدي خير من ان تراه » . فقال له الشيخ : « يا مولاي هي كما سمعتم معدن العلوم والمعارف » . فقال : « وأين هي وأنتم أعظم علمائها وقد سألتكم عن بعض العلوم فلم تجيبوني وغاية تحصيلكم الفقه والوسائل ونبذتم المقاصد » فقال الشيخ : « نحن لسنا أعظم علمائها وانما نحن المتصدرون لقضاء حوائجهم وأغلب أهل الازهر لا يشتغلون بالرياضيات الا بقدر الحاجة الموصلة لعلم المواريث كالحساب والغبار » .

فبقيت تلك العلوم الرياضية والجغرافية والعقلية الفلسفية مهجورة من الازهر ينظر اليها بنظر السخط ويفر من سماعها فرار الصحيح من الاجرب حتى قال المرحوم علي باشا مبارك ناظر المعارف العمومية في الحكومة المصرية في خططه مانصه : « وينهى أهل الازهر من يقرأ كتب الفلسفة ويشنون عليه الغارة وربما نسبوه للكفر »

ولكن بفضل الله وكرمه لم يطل الامر على ذلك كثيراً حتى قيض الله لنا من أمرائنا الكرام ووزرائنا الفخام وعلمائنا الاعلام من تنبه لأسباب تأخرنا العلمي وأخذوا في السعي لاعادة تدريس تلك العلوم النافعة المقوية للملكة الذهنية . ولخشية المفاجأة باعادة تدريسها للجامع بعد مارسخ في أذهان الكثير من ان بها ما يعدو على الدين رأى ولاة الامور أن يمهدوا السبيل لادخالها في الجامع الازهر بأخذ آراء أفاضل العلماء الازهريين فكلفوا والدي المرحوم السيد محمد بيرم [1] بهاته المهمة العلمية . وبعد أخذ وعطاء بينه وبين المرحومين العلامة الشيخ محمد الانبابي شيخ الاسلام بمصر وشيخ الجامع الازهر والعلامة الشيخ محمد البنا مفتي الديار المصرية في ذلك العهد استقر الرأي ان يكتب لهما استفتاء صورته : « بعد الديباجة . ما قولكم رضي الله عنكم

(١) من كبار مدرسي جامع الزيتونة ومدير عموم الاوقاف التونسية وقاضي محكمة مصر

هل يجوز تعلم المسلمين للعلوم الرياضية مثل الهندسة والحساب والهيئة والطبيعيات وتركيب الاجزاء المعبر عنها بالكيمياء وغيرها من سائر المعارف لا سيما ما ينبني عليه منها زيادة القوّة في الأمة بما تجاري به الامم المعاصرين لها في كل ما يشمله الامر بالاستعداد بل هل يجب بعض تلك العلوم على طائفة من الامة بمعنى أن يكون واجباً وجوباً كفائياً على نحو التفصيل الذي ذكره فيها الامام حجة الاسلام الغزاليُّ في احياء العلوم ونقله علماء الحنفية أيضاً وأقروه . واذا كان الحكم فيها كذلك فهل يجوز قراءتها مثل ما تجوز قراءة العلوم الآلية من نحو وغيره الرائجة الآن بالجامع الازهر وجامع الزيتونة والقرويين وغيرها أفيدوا الجواب لازلتم مقصداً لاولي الالباب »

فأجابه العلامة الشيخ محمد الانبابي بالفتوى الآتية : « بعد الديباجة . يجوز تعلم العلوم الرياضية مثل الحساب والهندسة والجغرافية لانه لا تعرض فيها لشيء من الامور الدينية بل يجب منها ما تتوقف عليه مصلحة دينية أو دنيوية وجوباً كفائياً كما يجب علم الطب لذلك كما أفاده الغزاليُّ في مواضع من الاحياء وان مازاد على الواجب من تلك العلوم مما يحصل به زيادة التمكن في القدر الواجب فتعلمه فضيلة . ولا يدخل في علم الهيئة الباحث عن اشكال الافلاك والكواكب وسيرها علمُ التنجيم المسمى بعلم أحكام النجوم وهو الباحث عن الاستدلال بالتشكلات الفلكية على الحوادث السفلية فانه حرام كما قال الغزالي وعلل ذلك بما محصله انه يخشى من ممارسته نسبة التأثير للكواكب والتعرض للاخبار بالمغيبات مع كون الناظر قد يخطىء لخفاء بعض الشروط أو الاسباب عليه لدقتها

واما الطبيعيات وهي الباحثة عن صفات الاجسام وخواصها وكيفية استحالتها وتغييرها كما في الاحياء في الباب الثاني من كتاب العلم فان كان ذلك البحث على طريق اهل الشرع فلا منع منها كما افاده العلامة شهاب الدين احمد بن حجر الهيثمي في جزء الفتاوى الجامع للمسائل المنتشرة بل لها حينئذ اهمية بحسب اهمية ثمرتها كالوقوف على خواص المعدن والنبات المحصل للتمكن في علم الطب وكمعرفة عمل الآلات النافعة في مصالح العباد . وان كان على طريقة الفلاسفة فالاشتغال بها حرام لانه يؤدي

للوقوع في العقائد المخالفة للشرع كما افاده العلامة المذكور . نعم يظهر تجويزه لكامل القريحة الممارس للكتاب والسنة للأمن عليه مما ذكر قياساً على المنطق المختلط بالفلسفة على ماهو المعتمد فيه من أقوال ثلاثة : ثانيها الجواز مطلقاً ونسبه الملوي في شرح السلم للجمهور : ثالثها المنع مطلقاً ونسبه صاحب السلم لابن الصلاح والنووي . قال الملوي ووافقهما على ذلك كثير من العلماء ولما كان الامام النووي ممن يقول في المنطق بالمنع مطلقاً مشي على نظيرذلك في الطبيعة . فعدّ في كتاب السير من الروضة من العلوم المحرمة علوم الطبيعيات بدون أن يفصل . لكن حيث يعتمد التفصيل هناك فلنعتمده هنا اذ لافرق بذلك فان مظنة الضرر والنفع موجودة في كل منهما والظاهر ان موضوع كلام الروضة ما كان على طريقة الفلاسفة اذ غيره لا محظور فيه اتفاقا كالمنطق الخالص كما يشعر بذلك تعبيرها بعلوم الطبائعيين دون علوم الطبيعة .

وأما علم تركيب الاجزاء المعبر عنه بالكيمياء فان كان المراد به مجرد البحث عن التركيب والتحليل بدون تعرض لمايخشى منه على العقيدة الاسلامية فلا بأس به بل له أهمية حسب ثمرته والاّ جرت فيه الاقوال الثلاثة المتقدمة . وأما العلم المعروف بعلم جابر ويسمى أيضاً علم الصنعة وعلم الكاف وهو الذي ينصرف اليه علم الكيمياء عندغالب الناس فقد أفاد العلامة ابن حجر في شرحه على المنهاج انه ان قلنـا بالمعتمد من جواز انقلاب الجسم عن حقيقته وكان العلم الموصل لذلك يقينياً جاز تعلمه والعمل به والا حرم ولفقد هذا الشرط لم يتحصل المشتغلون به فيا رأينا الاعلى ضياع الاموال وتشتت البال وتغيير الاحوال .

فعلم ان العلوم الرياضية لا بأس من قراءتها كما تقرأ علوم الآلات وكذا الطبيعيات وعلم تركيب الاجزاء حيث كانت تقرأ على طريقة لا يفهم منها منابذة الشرع بحال كبقية العلوم العقلية مثل المنطق والكلام والجدل بل يجب كفاية من هذه الثلاثة مايحتاج اليه في الحجاج عن العقائد الدينية والله سبحانه وتعالى أعلم » .

غرة الحجة سنة ١٣٠٥ هـ

محمد الانبابي الشافعي خادم العلم
والفقراء بالازهر عفي عنه

وكتب العلامة الشيخ محمد محمد البنا مفتي الديار المصرية في ذلك العهد بالفتوى الرسمية الآتية نمرة ١٧١ : « ما أفاده حضرة الاستاذ شيخ الاسلام موافق لمذهبنا وما استظهره من ان الخلاف الجاري في علم المنطق يجري في علم الطبيعة أيضاً وجيه والله سبحانه وتعالى أعلم »

١٧ الحجة سنة ١٣٠٥ هـ الفقير محمد محمد البنا الحنفي

غفر له

ولم يتقرر رسمياً ادخال بعض هاته العلوم الا في عصر سمو مولانا الخديوي المعظم عباس باشا الحالي أيد الله به الاسلام فقد أصدر أمره العالي المؤرخ في ٢٠ محرم سنة ١٣١٤ هـ بتدريس بعض تلك العلوم في الازهر

فأصبحت العلوم التي تدرس في الجامع الازهر الآن شاملة للعلوم الدينية وآلاتها ولبعض العلوم الدنيوية وغيرها من العلوم النافعة التي كانت غير متداولة في الازهر كتاريخ الاسلام وصناعة الانشاء قولا وكتابة واللغة متناً وأدباً ومبادئ الهندسة وتقويم البلدان ·

ولتنشيط الطلبة وحثهم على الاجتهاد في هاته العلوم المدخلة حديثاً بالجامع الازهر أوجد أولو الحل والعقد بسعي أفاضل المعتنين بهذا الجامع ونخص منهم بالذكر العلامة الغيور الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية حالا مبلغا مالياً قدره ستمائة جنيها سنويا يعطي مكافأة للنابغين في هاته العلوم المدخلة حديثاً فعظمت بذلك عنايتهم ونمت رغبتهم وأبدوا من البراعة في تلك العلوم على قلة الزمن وحداثة العهد ما أنبأ عن فرط ذكائهم وعظيم جدهم ولما اتضحت لهم فائدة تلك العلوم أقبلوا عليها اقبال العطاش على صافي الماء لا حباً في المكافأة المالية بل رغبة في التحلي بالفوائد العلمية

وهاك بيان العلوم التي تدرس الآن بالازهر

- العلوم الدينية
  - مقاصد
    - علم الكلام
    - علم الاخلاق الدينية
    - الفقه
    - أصول الفقه
    - تفسير القرآن
    - الحديث
  - وسائل
    - النحو
    - الصرف
    - المعاني
    - البيان
    - البديع
    - المنطق
    - مصطلح الحديث
    - الحساب
    - الجبر
    - العروض
    - القافية
- العلوم التي أدخلت حديثاً
  - تاريخ الاسلام
  - صناعة الانشاء قولاً وكتابة
  - اللغة متناً وأدباً
  - مبادىء الهندسة
  - تقويم البلدان (جغرافيا)
  - علوم عقلية
  - الخطوط

وهاك بيان أسماء الكتب التي تدرس غالباً في الازهر استخرجناها من رسالة قدمتها مشيخة الازهر لسمو الخديوي المعظم في سنة ١٣١٠ هـ .

﴿ كتب علم التوحيد ﴾ أم البراهين للشيخ محمد يوسف السنوسي بشرح الشيخ السنوسي والشيخ الهدهدي والشيخ الباجوري . الكبرى لابي عبدالله محمد السنوسي . جوهرة التوحيد للشيخ ابراهيم اللقاني بشرح عبد السلام اللقاني . العقائد النسفية بشرح السعد التفتازاني . الخريدة للشيخ احمد الدردير . المقاصد لسعد الدين التفتازاني . المواقف للشيخ عبد الرحمن العضد بشرح الجرجاني . طوالع الانوار للبيضاوي بشرح الاصفهاني . متن بليجة بشرح الشيخ السقا . متن السباعي بشرح الباجوري .

﴿ كتب علم التصوف ﴾ الابريز لسيدي عبد العزيز . الانوار القدسية لسيدي عبد الوهاب الشعراني . بستان العارفين للشيخ نصر السمرقندي . تاج العروس لابن عطاء الله السكندري . التجليات الالهية للشيخ محيي الدين العربي . تحفة الاخوان للشيخ الدردير . تفليس ابليس لعز الدين بن عبد السلام . تنبيه الغافلين للشيخ نصر السمرقندي . التنوير في اسقاط التدبير لابن عطاء الله السكندري . الاحياء للغزالي . قوت القلوب لابي طالب المكي . المنن الكبرى للشيخ الشعراني .

﴿ كتب علم التفسير ﴾ الكشاف للزمخشري . الجلالين للسيوطي بحاشية الشيخ الجمل . الخطيب الشربيني للشربيني . البيضاوي لعبدالله بن عمر البيضاوي . أبو السعود للشيخ أبو السعود . الفخر الرازي لفخر الدين بن محمد بن عمر الرازي . الخازن لعلاء الدين البغدادي . النسفي لحافظ الدين أبي البركات . الاتقان للسيوطي .

﴿ كتب علم التجويد والقرآآت ﴾ تحفة الاطفال للشيخ سليمان الجزوري . الجزرية للشيخ محمد الجزري . التمهيد للشيخ محمد الجزري . جهد المقل للشيخ علي زاده . ارشاد الرحمن للشيخ عطيه الاجهوري . الشاطبية للشاطبي . الوقف والابتداء للشيخ الاشموني .

﴿ كتب علم الحديث الشريف ﴾ صحيح البخاري بشرح القسطلاني والعسقلاني

---

(١) لعدم وجود بروغرام في الازهر يظهر ما يدرس به في كل فن التزمنا ان نذكر أسماء نفس الكتب التي تدرس به ليكون ذلك عنواناً للقاري بكل ما يدرس

والعيني وزكريا الانصاري . مختصر البخاري للشيخ ابن أبي جمرة . صحيح الامام مسلم بشرح محيي الدين النووي . الشفاء للقاضي عياض بشرح الخفاجي ومنلا علي قاري . موطأ مالك بشرح الزرقاني وابن عبد البر . الجامع الصغير للسيوطي بشرح العزيزي والمناوي والابياري . الاذكار للامام النووي بشرح ابن علان . التجريد للزبيدي . الشمائل المحمدية للحافظ الترمذي بشرح الشيخ الجمل . الترغيب والترهيب للامام المنذري . الاربعين للامام النووي . صحيح الامام الترمذي . صحيح الامام النسائي . صحيح الاشعث . صحيح ابن ماجة . المواهب اللدنية للامام القسطلاني . السيرة الحلبية للامام الحلبي .

﴿ كتب علم مصطلح الحديث ﴾ ألفية الحافظ العراقي بشرح شيخ الاسلام . والعدوي تقريب النووي بشرح الجلال السيوطي . النخبة لابن حجر العسقلاني . البيقونية للشيخ عمر البيقوني بشرح الزرقاني . منظومة الصبان .

﴿ كتب الفقه الحنفي ﴾ نور الايضاح للشيخ الشرنبلالي . متن الكنز للنسفي بشرح الطائي وابن نجيم والزيلعي والعيني ومنلا . تنوير الابصار للتمرتاش بشرح الحصكفي . البداية للامام المرغيناني . الهداية . الغاية . فتح القدير . الاشباه والنظائر لابن نجيم . الخراج للامام أبي يوسف . ملتقى الابحر للحلبي بشرح الحصكفي . مجمع البحرين لابن الساعاتي . متن القدوري للبغدادي . جامع الفصولين لابن قاضي سماوته . متن السراجية للسجاوندي .

﴿ كتب الفقه المالكي ﴾ العشماوية للشيخ العشماوي بشرح ابن تركي . العزية لابي الحسن علي الشاذلي بشرح الزرقاني . رسالة ابن أبي زيد لابن أبي زيد القيرواني بشرح الحسن الصعيدي . أقرب المسالك للدردير . مختصر خليل لأبي الضياء سيدي خليل بشرح الدردير والخرشي والزرقاني والحطاب والشبراخيتي . المجموع للشيخ الامير . العاصمية . التبصرة لابن فرحون . القلصاوي للقرشي .

﴿ كتب الفقه الشافعي ﴾ التقريب للشيخ احمد أبي شجاع . بشرح الخطيب الشربيني . الاشباه والنظائر لجلال الدين السيوطي . التحرير لشيخ الاسلام زكريا الانصاري .

منهج الطلاب له أيضاً . الروض لابن المقري . منهاج الطالبين للشيخ محيي الدين يحيى النووي . العباب لابن المدحجي . نهج الطلاب للجوهري . البهجة لابن الوردي . الوجيز للغزالي . الروض للنووي . الارشاد لابن المقري . كشف النقاب للونائي . فتاوي ابن حجر . فتاوي الرملي . الرحبية . الترتيب للمارديني . كشف الغوامض للسبط . ألفية ابن الهائم .

﴿ كتب الفقه الحنبلي ﴾ متن الدليل للشيخ مرعي . الغاية له ايضاً . زاد المستقنع للبهوتي . متن المنتهى للفتوحي . الاقناع للحجاوي . المقنع لابن قدامه . مختصر المقنع للحجاوي . الانصاف لعلاء الدين المرداوي . الفروع لابن مفلح الرامينى . تصحيح الفروع للمرداوي . مختصر الشطى للشطى .

﴿ كتب أصول الفقه ﴾ جمع الجوامع للسبكي بشرح الجلال المحلي . مختصر ابن الحاجب بشرح العضد . منار الانوار للنسفي بشرح ابن ملك والحصكفي وابن نجيم التنقيح لصدر الشريعة . تنقيح الفصول للقرافي . الورقات لامام الحرمين بشرح المحلي وابن قاسم . الورقات للحطاب . التحرير للكمال بن الهمام . فصول البدائع للفزي . المرآة .

﴿ كتب اللغة ﴾ القاموس للفيروزبادي بشرح السيد مرتضى . الصحاح للجوهري . مختار الصحاح للرازي . المصباح المنير للفيومي . فقه اللغة للثعالبي . الاساس للزمخشري . المزهر للسيوطي . لسان العرب لجمال الدين الانصاري .

﴿ كتب علم النحو ﴾ الاجرومية للصنهاجي . بشرح الكفراوي والشيخ خالد الازهري التوضيح لابن هشام وشرح الشيخ خالد . الازهرية بشرح المؤلف نفسه والمصري والحلبي . قطر الندى لعبد الله بن هشام . شذور الذهب لابن هشام . ألفية ابن مالك بشرح ابن عقيل والاشمونى . مغني اللبيب لابن هشام . الكافية لابن الحاجب . التسهيل لابن مالك .

﴿ كتب الصرف ﴾ المراح لاحمد بن علي بن مسعود . الشافية لابن الحاجب بشرح شيخ الاسلام والرضي . التصريف للعزي بشرح السعد التفتازانى . الترصيف للاخضري . نظم العقود للطحطاوي بشرح الشيخ عليش . لامية الافعال لابن مالك

رسالة الجوهرة في فن الاشتقاق .

﴿ كتب المعاني والبيان والبديع ﴾ التلخيص للخطيب القزويني بشرح السعد . المفتاح للسكاكي . بشرح السعد والسيد الشريف . الجوهر المكنون للاخضري بشرح الدمنهوري . عقود الجمان للسيوطي بشرح المؤلف نفسه . منظومة ابن الشحنه . الرسالة البيانية للصبان . السمرقندية .

﴿ كتب العروض والقوافي ﴾ الكافي للقنائي . الخزرجية . منظومة الصبان .

﴿ كتب الوضع ﴾ الرسالة العضدية بشرح السمرقندي . عنقود الزواهر .

﴿ كتب المنطق ﴾ السلم للاخضري بشرح المؤلف نفسه والقويسني والملوي والباجوري . ايساغوجي للابهري بشرح شيخ الاسلام . التهذيب للسعد التفتازاني بشرح الخبيصي . الشمسية للكاتبي بشرح قطب الدين الرازي . المختصر للسنوسي . المطالع للارموي بشرح الرازي .

﴿ كتب آداب البحث الرسالة العضدية لعضد الدين ﴾ آداب الكلنبوي بشرح حسن باشا زاده . آداب السمرقندي بشرح الشيرواني وشيخ الاسلام . آداب الساجقلي للمرعشي . آداب الجرجاني .

﴿ كتب التاريخ ﴾ تاريخ الخميس للقاضي حسين الديار بكرى . اسعاف الراغبين للصبان . مقدمة وتاريخ ابن خلدون . الكامل لابن الأثير . وفيات الاعيان لابن خلكان . أسد الغابة لابن الاثير . الخطط للمقريزي . نفح الطيب للمقري . الفتح اللاهي لاحمد بن علي . حسن المحاضرة للسيوطي . تحفة الناظرين للشرقاوي . العقد الفريد لابن عبد ربه . الطبقات الصغرى لابن السبكي . طبقات الشعراني لسيدى عبد الوهاب . لواقح الانوار للشعراني . خلاصة الاثر للحلبي . اخبار الاول للاسحاقي

﴿ كتب الجغرافية ﴾ الازهرية للشيخ محمد حسين الازهرى (وكتب أخرى حديثة ينتخبها الاساتذة المعينون من المدارس النظامية الاميرية لتعليم هذا العلم بالازهر) .

﴿ كتب الحساب والجبر ﴾ الوسيلة لابن الهائم . التحفة السنية للسبط . السخاوية

للسخاوي . الياسمينية لابن الهائم . منظومة في الحساب لعبد الرحمن الاخضري .
نزهة النظار لابن الهائم . الدرة البيضاء للاخضري . الخلاصة لبهاء الدين العاملي .
التلخيص للدمياطي . اللمعة في الحساب لابن الهائم . (وكتب أخرى ينتخبها الاساتذة) .

﴿ كتب الميقات والهيئة ﴾ رقائق الحقائق للسبط . خلاصة المختصرات لابن عائشة .
المطلب للسبط . رسالة في العمل بالربع للجبرتي . المقدمة لمحمد المجدي . تحفة الاخوان
لابن قاسم . الوضع على الجهات للمالكى الاندلسي . هداية الحائر للسبط . رسالة في
الوقت والقبلة للقليوبي . رسالة في معرفة التواريخ لابن مهدي . دستور علم الميقات
لرضوان افندي . زاد المسافرين لاحمد بن المجدي . تسهيل الدقائق لخليل الفرازي .
رسالة المنحرفات لخليل الفرازي . التذكرة للطوسي . المطلع السعيد لحسين زائد .

﴿ كتب الحكمة ﴾ الاشارات لابن سينا . الهداية لاثير الدين الابهري . حكمة
العين للكاتبي . مقولات السجاعي . مقولات البليدي . مقولات المرصفي . غالية
النشر لعبد الجواد القباني .

﴿ كتب الرسم ﴾ منظومة في الرسم العثماني . منظومة في الرسم القياسي .

﴿ الازهر مدرسة جامعة ﴾

اذا دخل الاوربي الازهر متفرجاً والقى نظرة عامة على فسحة جامعه الواسعة ذات المائة وستة وعشرين عموداً ورأى عشرة آلاف طالب تقريباً قاعدين في آن واحد بجانب بعضهم مشتغلين بسماع العلم أخذته دهشة الاستعجاب ووقر في نفسه اجلال منظر هذا المجلس العلمي البهيج ورأى ان كيفية تقسيم الطلبة الى أقسام وفرق وكيفية القاء الدروس عليهم يخالفان تمام المخالفة ما هو متبع في بلاده فانه لا يرى حاجزاً يفصل القسم العالي عن القسم الابتدائي كما انه لا يرى غرفاً لكل فرقة من فرق كل قسم من الاقسام العالية والمتوسطة والابتدائية غاصة بالكراسي أو المدرجات لقعود التلامذة بل يرى الجميع ملتصقين الى بعضهم قاعدين على الارض مع اختلاف ما يلقى عليهم من العلوم . فيجد هنا مؤدباً يقرئ الهجاء اصغار تلامذته المبتدئين وعلى جانب منه

اكبر عالم وحوله حلقة من كبار نابغي الطلبة المنتهين وهو يقرأ لهم أهم مسائل أصول الفقه

ولكن عدم وجود الحواجز لفصل الاقسام والفرق لا يمنع من أن تكون مدرسة الازهر مقسمة مثل كافة المدارس الجامعة الاوروباوية الى أقسام ثلاث: ابتدائية. وثانوية. وانتهائية عالية. لان العبرة بما يدرس للطلبة لا بمجلات التدريس.

ولو بحثنا على التدريس فى الازهر لوجدناه ابتدائياً بالنسبة للمبتدئين من الطلبة وله أساتذة خاصة لتدريس كتبه وثانوياً بالنسبة للمتوسطين وله أساتذة كذلك وانتهائياً عالياً بالنسبة للمنتهين من الطلبة وله أساتذة من جهابذة العلماء.

وشهادات الازهر الثلاث التي سيأتي الكلام عليها تكاد ان تصرح بوجود هذا التقسيم الذهني الذي تكلمنا عنه فان شهادته الابتدائية هي شهادة الاعفاء من الخدمة العسكرية (١) وشهادته الثانوية هي شهادة الاهلية وشهادته العليا هي شهادة العالمية.

وقد يغلب على ظن الذين لم يقفوا على أنواع التدريس والعلوم التي تلق في الجامع الازهر ان مدرسته هي مدرسة دينية محضة وان جميع العلوم التي تدرس فيها انما هي خاصة بالدين وفرائضه وان المتخرجين منها ليسوا الا فقهاء في الدين وحده ولكن الحقيقة ان العلوم العالية فيه متنوعة يمكن تقسيمها بحسب التقسيم الاوروباوي الاصطلاحي الى أربعة علوم:

العلم الاول — هو علم الدين وهو الذي يدرس في المدارس الدينية المسماة عند الفرنساويين باسم *Faculté de Théologie*

العلم الثاني — هو علم الحقوق وهو الذي يدرس في المدارس الحقوقية المسماة عند الفرنساويين باسم *Faculté de Droit*

العلم الثالث — هو علم اللغة والأدب وهو الذي يدرس في مدارس اللغات المسماة عند الفرنساويين باسم *Faculté Es-Lettres*

العلم الرابع — تعلمه الطلبة بالعمل وهو علم كيفية التدريس وهو الذي يدرس

(١) هاته الشهادة لا تعطى كما سيأتي ذلك مفصلاً الا لمن حضر بالازهر ثلاث سنوات وتحصل على جانب من العلوم يبرهن على معرفته لها امام لجنة الامتحان.

في مدارس المعلمين المسماة عند الفرنساويين باسم *Ecole Normale*

وانه يتخرج في هذه العلوم الاربعة علماء يعرفون بها ويخصصون أنفسهم لها فيتخرج من بينهم الفقيه بالدين وفرائضه والعالم بالقضاء والفتوى والمحاماة والعالم بكيفية التدريس والقدرة عليه والمتضلع في اللغة والادب والانشاء والتحرير غير ان المشتغلين بعلوم الادب كانوا قليلي العدد لأنّ وجهة الفريق الأعظم من المتعلمين كانت منصرفة الى تحصيل العلوم الدينية فكانت نتيجة ذلك ان قلّ عدد العارفين باللغة وآدابها حتى كنت لا ترى من بين كثير ممن نبغ في العلوم الدينية ورسخت قدمه فيها الا نذرًا يسيرًا يقدر على الكتابة والانشاء ٠

وقد تنبه أخيرًا لهذا الداء أولياء الامور في حكومتنا السنية فنظروا لفن الانشاء بما يستحقه من عين الرعاية وعينوا له من المدرسين العدد الكافي وألزموا الطلبة بالاشتغال به أسوة ببقية العلوم الاخرى وجعلت له مكافأة مالية تعطى للنابغ فيه تنشيطًا له وحثًا لغيره للاقتداء به ٠

﴿ كيفية التدريس ﴾

اذا أراد الشيخ المدرس قراءة الدرس جلس بجانب أحد أعمدة (١) الجامع واستقبل القبلة وقعد على الارض أو على كرسي من خشب أو جريد بحسب كثرة الطلبة وقلتهم (٢) ثم تقعد الطلبة حول شيخهم على شكل حلقة متربعين على الارض ولكل طالب محل لا يتعداه وبيد كل منهم نسخة من الكتاب المدرّس فيبتدئ

(١) وقد كان في الزمن السابق لكل أهل مذهب من المذاهب الاربعة عمد معينة من أعمدته لا يجلس فيها غيرهم وقد أبطل هذا الاختصاص وأبقي اختصاص كل شيخ بعمود فاذا خلا عمود من شيخ بموت أو انقطاع فشيخ الجامع يعطيه لمدرس غيره ولو لم يكن من أهل مذهبه ولا يقرأ أحد في عمود غيره الا باذن صاحبه وقد يشترك في العامود شيخان يقرأ كل واحد في وقت ٠ (٢) كان الكرسي خاصا بشيخ الجامع فقط

الشيخ بالبسملة والحمدلة والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقرر لهم الدرس بأن يقرأ بنفسه أو يستقرىء أحد طلبته جملة من الكتاب الذي بين يديه ثم يأخذ في تفسير تلك العبارة للطلبة. وللطالب الاستفسار عما غمض عليه فيجيبه الاستاذ بما يزيل من ذهنه الخفاء والغالب ان المدرس لا يخرج في شرحه عمـا هو وارد في الكتاب المدرّس من الامثلة بحيث ان ماكان يدرس من منذ قرون هو هو بعينه الذى يقرأ اليوم. والطلبة لا تكتب ما تسمعه من أساتذتها في مذكرة بل يقتصرون على سماع ما يقوله لهم الاستاذ مما هو وارد في الكتاب الذي بين أيديهم. ويمكث الدرس نحو الساعتين.

واذا لزم الحال أثناء الدرس لزجر المتعلم عن سوء خلق فترى أغلب المعلمين يقتصرون في زجر طلبتهم بطريق التعريض والرحمة بقدر الامكان لا بطريق التوبيخ والتصريح لمـا هو معروف ومقرر فى كتب الاخلاق الدينية من ان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويهيج الحرص على الاصرار. وترى اكثر المدرسين يقتصرون بالمتعلم على قدر فهمه فلا يلقون اليه مالا يبلغه عقله وذلك عملا بأقوال الرسول صلى الله عليه وسلم التي منها: «ما أحد يحدث قوماً بحديث لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة على بعضهم» ولقوله عليه الصلاة والسلام «نحن معاشر الانبياء أمرنا أن ننزل الناس منازلهم ونكلمهم على قدر عقولهم».

ومتى فرغ الاستاذ من قراءة الدرس يختمه بقراءة الفاتحة وتقوم الطلبة ويقبل كل واحد منهم يد شيخه ويطلب منه صالح الدعاء.

وكانت الاساتذة تهمل تطبيق العلم على العمل فكلفهم القانون الجديد [١] بترك تلك الطريقة الفاسدة وألزمهم بتمرين الطلبة على تطبيق العلم على العمل في العلوم التي يقصد من تعليمها العمل بها كعلوم البلاغة كما كلفهم هذا القانون المسنون لتحسين التعليم في الازهر بأن يمنع الطالب من أن يشتغل بعلم من علوم المقاصد (كعلم الكلام والاخلاق الدينية والفقه) قبل ان يحصل من وسائله ما يمكنه من فهمه.

---

(١) المؤرخ ٢٠ محرم سنة ١٣١٤ هـ

﴿ التصانيف والكتب في الاسلام ﴾

(المتون – الشروح – الحواشي – التقارير)

(ابطال تدريس التقارير والحواشي بالازهر)

قال الغزاليُّ : « الكتب والتصانيف محدثة ولم يكن شيءٌ منها في زمن الصحابة وصدر التابعين وانما حدثت بعد سنة ١٢٠ من الهجرة بل كان الاولون يكرهون كتب الاحاديث وتصنيف الكتب لئلا يشتغل الناس بها عن الحفظ وعن القرآن وعن التدبر وعن التذكر وقالوا احفظوا كما كنا نحفظ ولذلك كره أبو بكر وجماعة من الصحابة رضي الله عنهم تصحيف القرآن في مصحف وقالوا كيف نفعل شيئاً ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وخافوا اتكال النـاس على المصحف وقالوا نترك القرآن يأخذه بعضهم عن بعض بالتلقين والاقراء ليكون هـذا شغلهم وهمهم حتى أشار عمر رضي الله عنه و بقية الصحابة بكتب القرآن خوفاً من تخاذل الناس وتكاسلهم وحذراً من أن يقع نزاع فلايوجد أصل يرجع اليه في كلمة او قراءة من المتشابهات فانشرح صدر أبي بكر رضي الله عنه لذلك فجمع القرآن في مصحف واحد . وكان أحمد بن حنبل ينكر على مالك في تصنيفه الموطأ ويقول ابتـدع مالم تفعله الصحابة رضي الله عنهم » .

وقال صاحب كشف الظنون : « ولما انتشر الاسلام واتسعت الامصار وتفرق الصحابة في الاقطار وحدثت اختلافات الآراء وكثرت الفتاوى أخذوا في تدوين الحديث والفقه وعلوم القرآن وكان ذلك مصلحة عظيمة وفكرة في الصواب مستقيمة فرأوا ذلك مستحباً بل واجباً لقوله عليه الصلاة والسلام : العلم صيد والكتابة قيد قيدوا رحمكم الله علومكم بالكتابة » .

وقيل ان أول من صنف في الاسلام الامام عبد الملك بن عبد العزيز جريج البصري المتوفي سنة ١٥٥ هـ وقيل أبو النصر ابن أبي عروبة المتوفي سنة ١٥٦ هـ

وقال صاحب كشف الظنون في موضع آخر : « اعلم ان كل من وضع كتاباً انما

وضعه ليفهم بذاته من غير شرح وانما احتيج الى الشرح لامور ثلاثة :

الامر الاول — كمال مهارة المصنف فانه لجودة ذهنه وحسن عبارته يتكلم عن معان دقيقة بكلام وجيز كاف في الدلالة عن المطلوب وغيره ليس في مرتبتــه فربما عسر عليــه فهم بعضها أو تعذر فيحتاج الى زيادة بسط في العبارة لتظهر تلك المعاني الخفية ومن ههنا شرح بعض العلماء تصنيفه .

الامر الثاني — حذف بعض مقدمات الاقيسة اعتماداً على وضوحها أو لانها من علم آخر فيحتاج الشارح أن يذكر المقدمات المهملة ويبين ما يمكن بيانه في ذاك العلم .

الامر الثالث — احتمال اللفظ الى معان تأويلية أو لطافة المعنى أن يعبر عنه بلفظ يوضحه أو للالفاظ المجازية فيحتاج الشارح الى بيان غرض المصنف » .

هذه هي كيفية تصنيف الكتب عند المسلمين كانوا في بداية الامر يكتفون بما في صدورهم عما في سطورهم ثم لما اتسعت مماكلهم اضطروا لتدوين المؤلفات قيداً لها من الضياع وكانت تلك المؤلفات عبارة عن كتب لتفهم بذاتها بلا اضطرار لشرح شارح أي انها كانت متوناً واضحة .

ولما انحطت درجة الاشتغال بالعلوم الاسلامية وضعف شأنها وكان العلماء المتقدمون قد استوفوا الكلام فيها بمؤلفاتهم وبمصنفاتهم المتعددة لم يجد العلماء المتأخرون لاظهار فضلهم في التصنيف وانتشار ذكرهم بالتآليف الا أن يعمدوا الى ما بين أيديهم من المؤلفات والمصنفات فوضعوا عليها الشروح والتفاسير وجاء من بعدهم طبقة من أهل العلم دون طبقتهم فحذوا حذوهم واقتصرت هممهم على شرح ماوضعوه من تلك الشروح وهي الحواشي ثم جاء من بعدهم كذلك من اشتغل بوضع الشروح على تلك وهي التقارير حتى غطى كل ذلك على متون الكتب وتضاءل اللباب تحت القشور واستحكم التعقيد بذلك وتغلب الابهام فوقعت الاذهان في ارتباك والعقول في تشويش وتعذر التقاط الفوائد على الطلاب من وراء الاشتغال بها وساءت بذلك حالة التعليم وضاعت الاعمار والاوقات بغير طائل

وقد رأى أولياء الامور وأهل الرأي من العلماء بيننا الآن أن يدفعوا هذا الضرر

ويخففوا على الطلبة من نتائجه فقرروا منع قراءة الحواشي والتقارير في الازهر منعاً باتاً في الاربع سنوات الاولى من سني التدريس وأن يقتصر فيها على قراءة المتون وحدها مع الشروح الواضحة ثم جعلوا الخيار بعد ذلك للطلبة والعلماء في الاشتغال بقراءة تلك الحواشي وقرروا فوق ذلك انه لايجوز الاشتغال بقراءة التقارير الا بقرار مخصوص لاجل ذلك وأن لا يقيد طلب العلم في الجامع الازهر بكتب معينة دون أخرى أجازوا التدريس بأي كتب كانت في أنواع العلوم بعد عرضها على أولي الحل والعقد في الازهر الشريف وصدور أمرهم بالموافقة عليها .

﴿ الترقي في التعليم ﴾

لا يوجد بالازهر امتحان سنوي يختبر فيه الطلبة لمعرفة ماتعلمه كل واحد منهم في تلك السنة ونقله من القسم الابتدائي الى ما هو أعلى منه الا فيما يختص بالعلوم الحديثة فان الطلبة تمتحن فيها آخر كل سنة طلبا للمكافأة . بل الطالب متى حضر الكتب الصغيرة وآنس من نفسه جواز الانتقال الى ما هو أرقى منها انتقل من نفسه من حلقة المشايخ المدرسين للكتب الصغيرة وذهب متدرجا لحلقات المشايخ المدرسين للكتب الاكثر تطويلا و يبقى الطالب هكذا متنقلا سنة فأخرى حتى يتم دراسة ما يدرس عادة في الازهر من كبار الكتب

﴿ مدة الدراسة ﴾

كانت مدة الدراسة في الازهر غير محدودة فكان بعض الطلبة يتخذون لازهر كملجأ للعجزة أو تكية خيرية فيقضون أعمارهم به من سن الطفولية الى أن يدركهم لهرم بدون أن يتقدم الرجل منهم لاداء أي امتحان أو يظهر أدنى رغبة في ترك صفة التلمذة .

فرأى ولاة الامور أن يمنعوا ذلك بتحديد مدة الدراسة فقرروا بأن مدة الدراسة في الجامع الازهر لمن يريد أن ينال لقب عالم أقلها اثنتا عشرة سنة واكثرها خمسة عشر سنة .

﴿ أوقات الدروس وعددها في اليوم ﴾

لا يوجد في الازهر قانون يبين بالضبط أوقات الدروس وعددها في اليوم وانما جرت العادة من قديم الزمان بان تعطى الدروس هكذا .

من قبل الشروق لحين الشروق	التفسير والحديث
بعد الشروق	الفقه .
بعد الظهر	النحو . الصرف . المعاني . البيان . البديع . الاصول .
بعد العصر	الحساب . التاريخ . الجغرافيا . العلوم الحديثة .
بعد الغروب	المنطق . آداب البحث . الهيئة .

ويلبث الدرس من ساعة الى ساعتين . وأغلب الطلبة يتلقى كل منهم درسين صباحاً ودرسين مساء وأحياناً يتلقون أكثر من ذلك أو أقل بحسب الظروف .

وقرروا أخيراً ان يخصص لعلوم المقاصد (كالفقه . والاصول . والتفسير . والانشاء) أوسع أوقات الدروس ولا يصرف في الوسائل من زمن الدراسة ما يساوي الزمن الذي يصرف في المقاصد .

﴿ شهادات الازهر ﴾

للازهر شهادتان رسميتان كبيرتان : الشهادة العليا وهي التي يسمونها في الاصطلاح الازهري « شهادة العالمية » وشهادة يمكن اعتبارها ثانوية يسمونها « شهادة الاهلية » .

وله شهادة أخرى علميـة ولكنها غير رسمية يسمونها في اصطلاحهم « الاجازة » تعطى للطالب عند ارادته الرجوع الى بلاده بعد حضوره الكتب المعتبرة من مشايخه فيكتب له مشايخه تلك الاجازة متضمنة لحاملها الشهادة بالتحصيل والمهارة في الفنون والاهلية للتدريس والافتاء واجازته بذلك . ويبين المشايخ في تلك الشهادة اتصال سندهم ويوصونه بالتقوى والتحري في الاحكام وان لا يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه . وهاته الشهادة هي الشهادة الاصلية التي كانت تعطى لكل من تم دراسته قبل احداث الامتحانات .

اما الشهادتان الرسميتان الحديثتا الانشاء فان أقدمها « شهادة العالمية » أحدثت في سنة ١٢٨٨ هـ . حيث كان المدرس يتولى وظيفة التدريس بلا امتحان ولكن كان لا يتصدر للتدريس الا من كان أهلاً له من الافاضل الذين مارسوا الفنون المتداولة وصار حلالا للمشكلات والمعضلات من المسائل فلا يحتاج للاستئذان من شيخ الجامع أو من مشايخه الذين قرأ عليهم الا من جهة الأدب والبركة .

وعند شروعه في التدريس يطلب من بعض المشايخ والطلبة ان يحضروا درسه فيجيبونه ويتأنق في ابتداء الدرس بما يكون قد حضره بحسب مقدرته فاذا أحسن التدريس سكتوا له (وكان سكوتهم له أجازة) وان لم يحسن التدريس يتعصب عليه بعض الحاضرين ويمنعونه من التدريس واذا عاند ربما ضربوه

ثم تساهلوا في ذلك حتى صار من يتصدر للتدريس لا يكاد يتعرض له أحد فتصدر حينئذ من هو غير أهل للتصدر فكثر المدرسون وصار فيهم من لا أهلية له فرأى حينئذ شيخ الجامع وهو المرحوم العلامة الشيخ المهدي العباسي ان يمنع تلك الحالة باستصدار أمر عال خديوي بتقرير امتحان يعمل لمن يريد ان ينال وظيفة التدريس فصدر الامر العالي الخديوي في سنة ١٢٨٨ هـ متضمناً ان من يريد التدريس في الازهر لا بد من ان يمتحن امام مجلس امتحان في أحد عشر علماً وهي : التفسير . الحديث . الاصول . التوحيد . الفقه . النحو . الصرف . المعاني . البيان . البديع . المنطق . وان يكون أعضاء الامتحان من اكابر العلماء من كل مذهب من المذاهب الثلاثة (اثنان من الحنفية واثنان من المالكية واثنان من الشافعية) ويزاد عليهم عضو من علماء الحنابلة عند وجود طالب منهم . وان يكون رئيس المجلس شيخ الجامع . ويشترط ان يكون الطالب قد حضر هاته العلوم بالجامع الازهر ويكون قد قرأ كبار الكتب كالسعد وجمع الجوامع . فان أجاب الطالب في كل هذه العلوم الاحد عشر كتب في الدرجة الاولى . وان أجاب في أكثرها كتب في الدرجة الثانية . وان لم يجب في الاكثر كتب في الدرجة الثالثة ويعطى لكل من أرباب هذه الدرجات الثلاث عريضة تشريف متوجة بختم الجناب العالي الخديوي المعظم مخولة

لحاملها حق التدريس في الجامع الازهر . ويمتاز صاحب الدرجة الاولى زيادة عن ذلك بأن يعطى كسوة تشريفة .

وبقي الحال على ذلك احدى عشر سنة تقريباً وفي سنة ١٣٠٥ هـ استحسن شيخ الجامع الازهر وقتئذ وهو حضرة العلامة المرحوم الشيخ الانبابي تغيير بعض المواد التي كانت فى قانون الامتحان فصار الطالب لا يمتحن الا في فن واحد وهو أصول الفقه ويلزم بأن يطالع المسئلة التي سيمتحن فيها في غرفة منفرداً لا يخالطه الغير وتعطى له الكتب للمراجعة فيها .

وفى سنة ١٣١٤ هـ رأى ولاة الامر الرجوع للقانون الاصلي الذي سنه الشيخ المهدي مع تعديل وتحسين اقتضاه الحال فقرروا ان لا يقبل فى الامتحان الا من قضى فى الازهر اثنتا عشرة سنة مواظباً فيها على الدراسة بدون انقطاع وتلقى جميع العلوم التي تدرس فى الازهر وهي : علم الكلام . علم الاخلاق الدينية . الفقه . أصول الفقه . تفسير القرآن . الحديث . النحو . الصرف . المعاني . البيان . البـديع . المنطق . مصطلح الحديث . الحساب . الجبر . العروض . القافية (اما العلوم المدخلة حديثاً وهي : تاريخ الاسلام . صناعة الانشاء . اللغة . مبادي الهندسة . الجغرافيا . فيمتحن فيها الطالب باختياره) .

ويعين شيخ الجامع الموضوعات التي يجري الامتحان فيها ويعلن بذلك الطالب قبل اليوم المعين لاجرائه بثمانية أيام على الاقل .

وتنعقد لجنة الامتحان تحت رئاسة شيخ الجامع . ولكل عضو من أعضائها أن يوجه للطالب مايشاء من الاسئلة . وطريقة الامتحان هي أن يجعل الطالب نفسه كمدرس والممتحنين كطلبة ويقرر لهم الموضوعات التي يكلف بالكلام عليها .

والدرجات التي يمكن نوالهـا في الامتحان بحسب اجابة الطالب ثلاثة . أولى ثانية . ثالثة كما كان عليه الحال في سنة ١٢٨٨ هـ

ولمن نال درجة أقل من الدرجة الاولى حق بأن يطلب اعادة امتحانه لنيل درجة أرقى من درجته بعد مضى مدة أقلها سنة .

وكل من فاز في هذه الامتحانات تعطى له شهادة « العالمية » المتقدم ذكرها وهي تخول لحاملها زيادة عن حق التدريس في الجامع الازهر وفي بقية المدارس المماثلة له في القطر المصري (١) حق الاستخدام في الوظائف العالية في الحكومة المصرية ووظائف القضاء الشرعي والافتاء اذا كان حنفي المذهب لان القضاء والفتيا اليوم بمصر للمذهب الحنفي دون غيره من المذاهب .

وفي سنة ١٣١٤ ﻫ انشئت بالازهر شهادة جديدة اسمها « شهادة الاهلية » . والمراد من انشاء هاته الشهادة الثانوية (لان هاته الشهادة اقل من شهادة العالمية بدرجاتها الثلاث) ايجاد أئمة وخطباء للجوامع لهم اطلاع على احكام الدين وعلى ما يقوي الملكة الذهنية من العلوم الاخرى . وللحصول على هاته الشهادة يجب أن يكون الطالب قضى في الجامع الازهر مدة ثماني سنوات على الاقل مواظباً على طلب العلم وتلقي العلوم المقررة لتلك المدة . ويمتحن طالبها امام لجنة مؤلفة من ثلاثة من العلماء تحت رئاسة شيخ الجامع .

والحائزون لهاته الشهادة يجوز تعيينهم في وظائف الامامة والخطابة والوعظ في المساجد لتعليم العامة فيها وفي وظائف التعليم الابتدائي وليس لهم حق التدريس في الجامع الازهر

وشهادتهم لا تختم بختم الجناب العالي الخديوي كشهادة العالمية بل يختمها شيخ الجامع .

وفي الازهر شهادة اخرى يمكن اعتبارها شهادة ابتدائية يسمونها « شهادة الاعفاء من القرعة » . وهي لا تعطى الا لمن قضى بالازهر ثلاث سنوات مواظباً فيها مواظبة حقيقية على طلب العلم و برهن على تحصيله بامتحان يؤديه امام لجنة امتحان تنعقد لهذا الغرض .

---

(١) يوجد بالقطر المصري خلاف الازهر عدة جوامع كبيرة ومساجد صغيرة معدة كلها لنشر العلوم الدينية وتعليمها وعدتها جميعاً ٣٩٥ مسجداً ومجموع مدرسيها هو ٧٧١ مدرساً ومجموع طلبتها هو ١١٩٠٢ طالباً .

﴿ المدرسة الازهرية مستقلة عن نظارة المعارف ﴾

المدرسة الازهرية وان كانت معدة لنشر العلوم والمعارف في القطر المصري كسائر المدارس الاميرية الا انها مستقلة بذاتها غير تابعة لنظارة المعارف العمومية بأي وجه من الوجوه فلا مراقبة لنظارة المعارف عليها مطلقاً بل امرها بيد شيخها ومجلس ادارتها ومصروفاتها كما قدمنا من الاوقاف العمومية والاوقاف الخصوصية التي اوقفت على الازهر وبعضها من مالية الحكومة المصرية ·

﴿ كتبخانة المدرسة الازهرية ﴾

مر بنا الكلام على ان أروقة الازهر ومدارسه لم تنشأ مرة واحدة بل تدريجاً رواقاً فرواقاً ومدرسة فمدرسة · وكان المعتنون بانشاء تلك الاروقة والمدارس يوقفون عليها الاوقاف الجزيلة الضامنة لعمارتها في مستقبل الايام و يوقفون عليها أيضاً كتباً نفيسة نافعة في كافة العلوم والفنون يستعملها الطلبة في تعليمهم · فكانت الكتب مقسمة مشتتة في كل رواق ومدرسة جزء منها يكاد لا ينتفع به لعدم ترتيبها وتنظيمها · وبقي الحال على ذلك الى عهد انشاء مجلس ادارة الازهر (سنة ١٣١٤ هـ) فرأى حينئذ ولاة الامور ضرورة لم شعث تلك الكتب المشتتة ووضعها مع بعضها في محل واحد ليتمكن الطلبة عموماً من الانتفاع بها وتحفظ من ان تعبث بها أيدي الزمان · فجمع غالب تلك الكتب [1] في الكتبخانة الازهرية وعين لها أمين خاص يراقب حفظها واستعمالها · ورتبت تلك الكتب ترتيباً تاماً وجلد ما كان محتاجاً منها للتجليد وصحح ما كان محتاجاً منها للتصحيح وكمل ما كان محتاجاً منها للتكميل · واشترت الكتبخانة الازهرية نفسها كثيراً من الكتب التي رأتها ضرورية واضافتها الى ما جمع من الكتب وانهالت عليها عطايا الكبراء حتى ضاقت مساحتها وخزائنها بما رحبت

---

(١) قلنا غالب الكتب ولم نقل كلها لان بعض الاروقة حافظ على كتبه وأبى ان يسلمها للكتبخانة الازهرية · وتلك الاروقة هي : رواق الاتراك · رواق المغاربة · رواق الشوام · ورواق الصعايدة · ورواق الحنفية ·

عن محل لوضع ما تراكم بها من الكتب التي يبلغ عددها فوق العشرين ألف كتاب ·

وتنقسم الكتبخانة الازهرية الى قسمين :

القسم الاول به المصاحف وكتب القراآت والتفسير والحديث والاصول والنحو والصرف والبلاغة والمجاميع والفقه

والقسم الثاني به كتب التوحيد والمنطق والتاريخ والتصوف والادب والمديح والآداب والمواعظ والفضائل والاحزاب والاوراد والادعية وكتب الوضع وأداب البحث والعروض والفلك والميقات ومصطلح الحديث والفنون المتنوعة والحساب والهندسة واللغة والطب ·

﴿ المسامحات السنوية ﴾

قدر على كثير من الناس ان يجهلوا قيمة الصحة في حال ما يكونون متمتعين بها ولا يدركون لها لذة ولا يقدرون لها قيمة الا بعد ما تفارقهم فيعضون النواجذ حينئذ أسفا على ما فرط منهم في عدم المحافظة عليها و يأسفون على ما كان يصدر منهم من تكليف الجسم بما لا يطيق من الاتعاب وتحميل القوى العقلية مالا تستطيع حمله من الاعمال· ولهذا جاءت شريعتنا الاسلامية الغراء حاثة لنا على المحافظة على تلك الصحة وقت العافية منبهة لنا بأن لنفوسنا علينا حقا وقام أئمتنا الاعلام كالخليفتين عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز شارحين لنا تلك النصوص الشرعية بأعمالهم ·

ذكر التاريخ ان أول من امر باراحة اولاد الكتاتيب من القراءة في يوم الجمعة هو سيدنا عمر بن الخطاب ·

وجاء ولد سيدنا عمر بن عبد العزيز لابيه يستنهضه لقضاء حوائج الناس فأجابه ابوه وهو ذلك الخليفة الحريص على ايصال الحقوق لاربابها بما هو معروف عنه من العدل والقسط قائلا : « ان نفسى مطيتي ان حملتها مالا تطيق انقطعت فأنا أريحها لاقضي حوائج الناس على تلك الراحة » ·

وقام امراء المسلمين وحكامهم فى كل عصر ناهجين هذا المنهاج القديم سالكين

هاته السنة الحميدة من ايجاد الفرص لاراحة المشتغلين بالامور العقلية .

هذه محاكمنا الشرعية وما بالعهد من قدم كانت تستريح من الاعمال فى شهر الصيام نهاراً وتشتغل بالقضاء ليلاً لما فى الاشتغال بفصل الخصومات وقت الصيام من التعب الزائد .

وهذه الدروس تقرر تعطيلها فى أيام معلومة لاراحة المشتغلين بالتعليم والتعلم اذ قد ثبت بالتجارب ان العقل المستريح يستفيد استفادة لا تضارعها استفادة العقل المكدود الذي أنهكت قواه كثرة الاعمال . ومن غريب ما سمعناه فى هذا الباب ان بعض المدارس بأمريكا تمنح أساتذتها سنة كاملة يريحون فيها عقولهم من الاتعاب الفكرية ويريضون فى أثنائها أجسامهم وهاته الاجازة الطويلة تعطى لهم فى كل ثلاث سنوات مرة وهي زيادة عن المسامحات التى تعطى لهم في كل سنة أيام اشتداد الحر .

وتعطل الدروس فى الازهر فى شهر شعبان ورمضان ونصف شوال من كل سنة [1]

وزيادة عن هاته العطلة فان الازهر تسامح طلبته فى المواسم الآتية :

عيد الاضحى — تعطل لاجله الدروس مدة عشرة ايام .

يوم عاشوراء .

مولد النبي صلى الله عليه وسلم

مولد سيدنا الحسين رضي الله عنه .

مهرجان المحمل . [2]

مهرجان قطع الخليج .

مولد سيدي أحمد البدوي رضى الله عنه .

وجرت العادة بأن بعض المدرسين يستمرون في شهري شعبان ورمضان على قراءة كتب صغيرة لمن يبقى مقيما فى الازهر من الطلبة .

---

(١) وتعطل الدروس بالازهر مدة ٤٥ يوماً حين اشتداد الحر اذا كان وقت دخول شهر رمضان في غير أيام الصيف. (٢) هو مهرجان سنوي كبير يحتفل به يوم ارسال الكسوة للكعبة الشريفة مع ركب الحج المصري

﴿ في المدرسين ﴾

(المدرسون وعددهم)

ان المدرسين بالازهر ينقسمون الى قسمين :

القسم الاول — هم الاساتذة الذين تعينوا مدرسين قبل انشاء الامتحانات أي قبل سنة ١٢٨٨ هـ والآن قل عدد هؤلاء المدرسين فان مجموعهم لا يزيد عن ٥٩ مدرساً

القسم الثاني — المدرسون الذين تعينوا بعد انشاء الامتحانات أي بعد سنة ١٢٨٨

وكلا الفريقين ينقسم الى ثلاث درجات : أولى . ثانية . ثالثة .

فعدد المدرسين من الدرجة الاولى هو ٧٢ مدرساً .

وعددهم من الدرجة الثانية هو ٧٣ مدرساً .

وعددهم من الدرجة الثالثة هو ١١٠ مدرساً .

فيكون المجموع ٢٥٥ مدرساً .

فأرباب الدرجة الاولى يدرسون ماشاؤا من العلوم التى يختارونها لانفسهم .

أما أرباب الدرجة الثانية فلا يدرسون من الكتب الا كتب النحو المتوسطة ولا يجوز لهم تدريس ما هو اكبر من الاشموني في النحو وما يضاهيه من الكتب الاخرى من سائر العلوم وكذلك أرباب الدرجة الثالثة مقيدون بتدريس الكتب الصغيرة .

وقد بينا في غير هذا المحل بأن صاحب الدرجة الثانية أو الثالثة اذا أراد نيل الدرجة الاولى له أن يطلب اعادة امتحانه بعد مضى سنة لينال درجة أعلى من درجته وللجلس الازهر أن يرفع أحد المشايخ من الدرجة التى هو بها الى مافوقها متى ثبت له انه بلغ باجتهاده في التعليم وممارسته للدراسة ماعليه أهل تلك الدرجة التى فوقه من الاقتدار على نفع الطالبين ومن سعة الاطلاع وقوة البصيرة في العلوم .

وينقسم عدد علماء الازهر باعتبار المذاهب كالآتي .

مدرسون من السادة الحنفية	٧٢
مدرسون من السادة المالكية	٧٧
مدرسون من السادة الشافعية	١٠٠

مدرسون من السادة الحنابلة ٢

هذا المدد خلاف عدد المدرسين المعينين لتدريس العلوم التى ادخلت حديثاً كالجغرافية والحساب والانشاء ويبلغ عددهم نحو العشرين مدرساً ·

﴿ ملابس المدرسين ﴾

ليس للاساتذة ملابس مخصوصة يلبسونها وقت التدريس كما هي العادة في بعض المدارس العليا الاوروبية بل كل يلبس ملابسه العادية ولا يوجد بالازهر من يلبس الملابس الاوروبية لا من المدرسين (١) ولا من الطلبة بل لبـاس الجميع هو اللباس العربي الشرقي · فيلبس المشايخ المدرسون الاقبية المسماة (بالفرجيات) مع القفاطين والطيالس الفاخرة والسرموذات والبوابج الصفر وكلهم بالعمم ·

وقـد كان الكثير منهم في الزمن السابق مخشوشنا يلبس الزعبوط من الصوف بلاغلاله وكانوا يلبسون عمامات خاصة يقال لها « المقلة » تشبه عمائم الاضرحة ·

وذكر الاسيوطي في كتابه حسن المحاضرة عن زيّ علماء وقته (٢) ما نصه : « واما زي القضاة والعلماء مدلق متسع بغير تفريج فتحته على كتفه وشاش كبير ذو أبة بين الكتفين وعيلها الى الكتف الايسر ·

واما من دون هؤلاء فالفرجية الطويلة الكم بغير تفريج · ومنهم من يلبس الطيلسان »

﴿ كساوي تشريفة للعلماء ﴾

تختلف البلاد الاسلاميـة في العادات والطبائع · فهاته بلاد تونس ومراكش يرى علماؤها ان التحلي بالكساوي المقصبة وتزيين الصدور بالنياشين المرصعة أمر لا يليق بالعلماء ولا يحسن بمقامهم (٣) ·

---

(١) المدرسون المعينون لتدريس بعض العلوم المدخلة حديثاً يلبسون الملابس الافرنجية

(٢) في أوائل القرن العاشر الهجري · · (٣) يُرى في كتب السير ان النبي صلى الله عليه وسلم قلع القميص المطرز بالعَلَم

ونرى بلاد الدولة العثمانية ومصر على غير ذلك فان للعلماء الازهر بين كساوي تشريفة يلبسونها في المواكب الرسمية ونياشين يعلقونها في صدورهم في الاعياد والاحتفالات

وأول من أوجد هذه الكساوي بمصر هو ساكن الجنان الخديوي سعيد باشا في سنة ١٢٧٥ هـ .

وكانت هاته الكساوي (وهي عبارة عن فرجية وشريط مقصب يُجعل فوق العمامة) في أول الامر درجة واحدة ثم استحسن ساكن الجنان الخديوي اسماعيل باشا جعلها ثلاث درجات أولى وثانية وثالثة . وبقيت درجاتها على حالها الى الآن (١) .

وذكر الاسيوطي في حسن المحاضرة عن خلع علماء وقته ما نصه : « واما قاضي القضاة والعلماء فخلعهم من الصوف بغير طراز ولهم الطرحة . واما قاضي القضاة الشافعي فرسمه الطرحة وبها يمتاز . وألبسة الخطباء دلق مدور أسود للشعار العباسي وشاش أسود وطرحة سوداء » .

وكسوة التشريفة العلمية تشتريها الآن الحكومة المصرية من مالها وتهديها لمن أنعمت عليه من العلماء .

﴿ امتياز العلماء ﴾

لعلماء المسلمين بين الخاصة والعامة احترام في الصدور وتبجيل في القلوب وهم في كل مكان محل للاكرام والتعظيم ولهم كذلك بين أهل الحكم وأولي الامر هذا المقام الكريم ومنزلتهم معروفة عند الملوك والامراء وقد جعلوا لهم من المنح والامتيازات شيئاً كثيراً على اختلاف الدول والايام

ومما يذكر هنا على طريق المثال بالنسبة لمصر ان ساكن الجنان سعيد باشا

---

(١) يوجد بمصر زيادة عن كساوي التشريف العلمية التي يختص بها العلماء كساوي تشريف أخرى اسمها « كساوي تشريف مظهرية » وهي تمنح لمن يمتاز بعلو المنزلة بين الناس مثل نقيب الاشراف بمصر وشيخ مشايخ الطرق الصوفية ومن يكون من أرباب البيوتات المنتسبة للعلم ومن اهله ولائقاً لنيل كسوة التشريف

خديوي مصر كان في أول ما أمر به عند انشاء السكة الحديدية في الديار المصرية ان يباح للعلماء المدرسين الركوب في قطارات السكة الحديدية مع أتباعهم بدون أجرة مطلقاً تمييزاً لهم عن بقية الناس .

ومكث الامر على ذلك زمناً طويلا حتى حصل فيه بعض التبديل فيما بعد [1] فصار العالم يدفع اليوم نصف الاجرة فقط وبقي النصف الثاني امتيازاً محفوظاً لهم على الدوام .

وللعلماء امتياز آخر وهو اعفاؤهم من الخروج لخفارة جسور النيل أيام فيضانه تمييزاً لهم عن سائر سكان القرى الذين يخرجون عند الضرورة لخفارة بلادهم من الغرق .

﴿ مرتبات المدرسين ﴾

ان مرتبات المدرسين هي على وجه العموم ضعيفة ولولا ما هو معلوم من قناعة أكثر علمائنا المسلمين وتباعدهم عن كل زخارف هاته الحياة الدنيا وتمسكهم بمبادي الزهد التى تجعل الانسان يعتقد بأن الغنى هو عن المال لا به لما كانت مرتباتهم تكفي لحاجاتهم المعيشية . فان مرتب العالم ذي الدرجة الاولى ماية وخمسون قرشاً (٣٩ فرنكا) في الشهر ومرتب العالم ذي الدرجة الثانية ماية قرش (٢٦ فرنكا) ومرتب العالم ذي الدرجة الثالثة خمسة وسبعون قرشاً (١٩ فرنكا تقريباً) [2]

ولو بقيت أوقاف الازهر بدون ان تعبث بها يد الضياع لكانت مرتبات العلماء اليوم أكثر من هذه المرتبات الطفيفة بكثير . ولكن رغماً عما وقع فان عناية الخديو بين الفخام ورجال الحكومة السنية قد حفت بالعلماء وجعلت لهم مقررات يومية وأخرى سنوية .

---

(١) عند انشاء قومسيون السكة الحديدية وذلك في سنة ١٨٧٦ ميلادية .

(٢) هذه هي مرتبات العلماء الذين نالوا الشهادات وتعينوا للتدريس بعد سنة ١٢٨٨ هـ وهم الجانب الاعظم الآن اما مرتبات المدرسين المعينين قبل ذلك فهى أرقى من هاته المرتبات .

أما اليومية فهي أقراص الخبز المعروفة « بالجراية » ولا ينقص نصيب كل عالم مدرس عن عشرة أرغفة في اليوم .

واما السنوية فهي المعروفة في الاصطلاح الازهري « بدل الكساوي » و « مثمن الغلال » فان بدل الكسوة أقله اثناعشر جنيهاً وأكثره ثلاثون في السنة . ومثمن الغلال رزق يصرفه مجلس ادارة الازهر لمن يراه مستحقاً له من المدرسين مع مراعاة فائدة التعليم .

ومع قلة هذه المرتبات فلا تكاد تسمع شكوى من مدرس بسبب ضعفها لان أفاويق العلوم الدينية التي تغذي بها علّمته « ان من طلب علماً ليصيب به غرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة » (١) « وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمناً قليلاً » (٢)

﴿ لا تأثير للسياسة على المدرسين ومركز العلماء امام الامراء والحكام ﴾

ان أكثر ما يخشاه علماء البحث والتدقيق في أوربا هو تسلط أهل السياسة من لاحزاب المضادة للحكومات على أهل العلم واستمالتهم الى تقوية آرائهم ونشر أفكارهم بين المتعلمين ليكونوا عوناً لاحزابهم وعماداً لانتشار مشاربهم وتاريخ أوربا (الحاضر منه خصوصاً) يشهد بوقائعه على ما كان من انتشار هذا الداء فيهم وما أنتجه في الثورات والفتن .

ولعل الباحثين بهذه الاضرار قد بذلوا جهدهم لرفع التداخل السياسي في تعليم العلوم بسن القوانين الشديدة المخولة للحكومات الاوربية حق مراقبة التعليم .

والباحث في سيرة التعليم بالبلاد الاسلامية يجد ان لا وجود لهذا الداء فيها تقريباً ولا تأثير لسياسة المعارضين بوجه من الوجوه الا ما كان صادراً عن استبداد بعض الحكام واستعمالهم القسوة لانتصار مشربهم بواسطة أفراد من العلماء . ولكن التاريخ يشهد ان تأثيرهم كان يزول بزوال قوة الحكم من أيديهم فيكون ذلك

(١) حديث كريم نبوي (٢) آية شريفة قرآنية

التسلط على رغم النفوس يعملون به ظاهراً ويمقتونه باطناً ولم يسمع قط ان مدرسة اسلامية قام علماؤها ومدرسوها بأكلهم بنشر غرض سياسي معين . نعم ان العلماء كانوا يقبلون على العلوم التي يفضلها أمراء وقتهم فتزهو تلك العلوم في مدتهم ولكنهم ما كانوا يتعدون العلوم لغيرها من المآرب السياسية . فلا يمكن لأكبر الملوك ولا لاعظم الرؤساء ذوي الاحزاب ان يستفيدوا أدنى فائدة بانتصار مذهبه وتأييد رأيه من السعي وراء التأثير على الافكار العمومية بواسطة المدرسين . وأكبر الاسباب في ذلك ان تعليم العلوم الاسلامية لاصق بالدين راجع اليه فسلطة الدين فيه تغلب على كل سلطة وتنفي كل مداخلة ولا تتأثر أفكار المعلمين أو المتعلمين بأثر يخالف أثر الدين . ولذلك نرى العلماء في المملكة جسماً مستقلاً لا تأثير للسياسة عليه .

ولهذا الاستقلال عظم شأن العلماء في أعين الامراء وصاروا يرونهم قوة امام قوتهم فيعظمونهم ويبجلونهم ويقدمونهم علي أنفسهم في مواطن كثيرة . ذكر الاسيوطي في حسن المحاضرة «لما أخذت التتار بغداد وجرى ما جرى أقامت الدنيا بلا خليفة ثلاث سنوات ونصفاً فلما كان رجب في سنة ٥٥٩ هـ قدم أبو القاسم احمد ابن أمير المؤمنين الظاهر بأمر الله وهو عم الخليفة المستعصم الذي قتله التتار وقد كان معتقلاً ببغداد ثم أطلق فقصد الملك الظاهر (١) حين بلغه ملكه فقدم عليه بالديار المصرية صحبة جماعة من أمراء العرب فخرج السلطان للقائه ومعه القاضي تاج الدين والوزير والعلماء والاعيان والشهود والمؤذنين فتلقوه وكان يوماً مشهوداً فخرج اليهود بتوراتهم والنصاري بانجيلهم ودخل من باب النصر بأبهة عظيمة . فلما كان يوم الاثنين ١٣ رجب جلس السلطان والخليفة في الايوان بقلعة الجبل والقاضي والوزير والامراء على طبقاتهم . وأثبت نسب الخليفة عند القاضي تاج الدين . فلما ثبت قام قاضي القضاة قائماً وأشهد علي نفسه بثبوت النسبة الشريفة ثم كان أول من بايعه شيخ الاسلام عز الدين بن عبد السلام ثم السلطان الظاهر .» فكان المقدم في البيعة أهل العلم ثم أهل السلطان .

---

(١) الظاهر بيبرس ملك مصر

ولم يكن للامراء والحكام أدنى رجاء في الاستعانة بنصر سياستهم بواسطة العلماء بل كان جل ما يقدرون على التوصل اليه أن ينتفعوا بمقام العلماء ومراكزهم في النفوس بين الناس باستمالة أشخاصهم نحوهم لا بترويج أغراضهم ومشاربهم بواسطة تعاليمهم والتأثير على نفوس المتعلمين . وهذه الاستمالة الشخصية وان طاوع عليها بعض العلماء الا ان الجانب الاعظم منهم ممن عرف حقيقة مركزه اجتهد كل الاجتهاد في الانعزال عن مخالطة الحكام والزهد عما في أيديهم من الجاه والمال ورأى أن ابتعاد العلم عن سياسة الامراء أليق بشرف العلم وأضمن لعزة مقامه . ذكر الغزالي : « ان محمد بن مسلم الزهري لما خالط السلطان كتب له أخ في الدين يقول : « عافانا الله واياك أبا بكر من الفتن فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك الله و يرحمك اعلم ان أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل البغي بدنوك ممن لم يود حقاً ولم يترك باطلا حين ادنوك اتخذوك قطباً تدور عليك رحى ظلمهم وجسراً يعبرون عليك الى بلائهم وسلماً يصعدون فيه الى ضلالتهم يدخلون بك الشك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما أيسر ما عمروا لك فى جانب ماخربوا عليك وما اكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك . فداوِ دينك فقد دخله سقم » فانظر كيف كان العلماء يحترسون من مخالطة الامراء الا لنصيحة يؤدونها اليهم في الدين نافعة لعامة المسلمين .

ومن المدارس الاسلامية التي يصدق عليها كلامنا ونخصها بالذكر مدرسة الجامع الازهر فمن نظر فيما كان من تقلبات السياسة من منذ انشاء الازهر الى الآن وما توالى عليها من الحكومات المختلفة من فاطميين وايوبيين وجراكسة ودولة آل عثمان والعائلة المحمدية العلوية الخديوية رأى ان الازهر بحاله بمشايخه بطلبته بتعاليمه لم يتغير تغيراً يناسب تقلب تلك الحكومات .

ولم يكتف العلماء بالترفع عن ان يكونوا آلة في يد الملوك والامراء والرؤساء ذوي الاحزاب لترويج أفكارهم واغراضهم بل تعالوا بأنفسهم الى درجة صيرتهم هم المراقبون على الملوك المرشدون للامراء والرؤساء الآمرون بالمعروف باسم الدين الناهون عن

المنكر بما لهم من كبير المقام في النفوس . وذكر الاسيوطي في حسن محاضرته النادرة الغريبة وهي . « لما تولى الشيخ عز الدين بن عبد السلام القضاء تصدى لبيع أمراء الدولة من الاتراك وذكر انه لم يثبت عنده انهم أحرار وان حكم الرق مستصحب عليهم لبيت مال المسلمين فبلغهم ذلك فعظم الخطب عندهم والشيخ مصمم لايصحح لهم بيعاً ولا شراء ولا نكاحاً وتعطلت مصالحهم لذلك وكان من جملتهم نائب السلطنة فاستشاط غضباً فاجتمعوا وأرسلوا اليه فقال نعقد لكم مجلساً وننادي عليكم لبيت المال فرفعوا الامر الى السلطان فبعث اليه فلم يرجع فأرسل اليه نائب السلطنة بالملاطفة فلم يفد فيه فانزعج النائب وقال كيف ينادي علينا هذا الشيخ ويبيعنا ونحن ملوك الارض والله لاضربنه بسيفي هذا فركب بنفسه في جماعته وجاء الى بيت الشيخ والسيف مسلول في يده فطرق الباب فخرج اليه ولد الشيخ فرأى من نائب السلطنة ما رأى فعاد وشرح لوالده الحال فما اكترث بذلك وقال ياولدي أبوك أقل من أن يقتل في سبيل الله ثم خرج فحين وقع نظره على النائب يبست يد النائب وسقط السيف منها وأرعدت مفاصله . فبكى وسأل الشيخ أن يدعو له وقال ياسيدي وأي شيء تعمل قال أنادي عليكم وأبيعكم قال ففيم تصرف ثمننا قال في مصالح المسلمين قال فمن يقبضه قال أنا فتم ما أراد ونادى على الامراء واحداً واحداً وغالى في ثمنهم ولم يبعهم الا بالثمن الوافي وقبضه وصرفه في وجوه الخير » . فمن كانت هذه سلطتهم على الامراء الى درجة أن يتصرفوا في رقاب بعضهم لا يعقل أن يكونوا آلة في أيدي الحكام فى كل زمان لترويج اغراضهم وتنفيذ أهوائهم في سياستهم .

﴿ العلماء وسلطتهم الدينية ﴾

كثيراً ما يظن الاوروبيون الذين لم يقفوا على حقيقة الدين الاسلامي ان العلماء عند المسلمين لهم ما للقسس والرهبان من الصبغة الدينية وان منزلتهم عند المسلمين كمنزلة القسس عند المسيحيين والحقيقة هي خلاف ذلك لان صفات القسس الدينية لا توجد في ديننا الاسلامي أصلا . فان قسس الكاثوليك مثلا لهم :

أولا — حق تأويل[1] النصوص الدينية دون غيرهم ولو ممن رسخ قدمه في العلم الديني من غير القسس وان تأويلهم الزامي لكافة الكاثوليك أي انهم مجبورون على العمل به .

ثانيا — انهم واسطة بين الخالق والمخلوق في بعض العبادات كالقداس والاحتفالات الدينية كالعماد والزواج بحيث ان عدم حضورهم فيها يجعلها فاسدة دينا بوجه عام .

ثالثا — لهم شبه وكالة عن الله سبحانه وتعالى على وجه الارض بمقتضاها يغفرون الذنوب ويحللون أمورا ويحرمون أخرى .

أما علماؤنا المسلمون فليس لهم من ذلك شيء .

فان تأويل النصوص الشرعية ليس خاصا بالعلماء دون سواهم بل لكل مسلم أن يفهم عن الله من كتاب الله وعن رسوله من كلام رسوله بدون توسيط أحد انما يجب عليه قبل ذلك أن يحصل من الوسائل ما يؤهله للفهم وان أوّل شيئا فتأويله ليس بالزامي لكافة المسلمين بل كل يجتهد برأيه متى كان في درجة تؤهله للاجتهاد .

ولا واسطة عندنا بين الخالق والمخلوق مطلقا بل اداء كافة العبادات يتم بلا واسطة في ذلك لاحد مهما علا كعبه في الدين .

أما السلطة الدينيـة التي للقسس المستمدة من وكالة الله سبحانه وتعالى على وجه الارض فقد هدم الاسلام بناءها ومحا آثارها حتى لم يبق لها بين أهله اسم ولا رسم

وغاية الامر أن علماءنا هم دعاة للخير آمرون بالمعروف ناهون عن المنكر ليس لهم علينا الا الدعوة والتذكير والانذار والتحذير .

﴿ بعض عوائد المدرسين والعلماء ﴾

ان من دأب علمائنا في عاداتهم وأخلاقهم وسيرتهم اقتفاء أثر السلف الصالح فتراهم يجتهدون ما استطاعوا لذلك سبيلا في السير على طريق الهدى والرشاد الذي سلكه أولئك الاخيار البررة الذي قال الرسول عليه الصلاة والسلام في نعتهم : « طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله . طوبى لمن شغله عيبه عن

(١) يؤولون النصوص فى مجتمعات خاصة تعقدت تحت رئاسة قداسة البابا

عيوب الناس وأنفق من مال اكتسبه في غير معصية وخالط أهل الفقه والحكيم وجانب أهل الذلل والمعصية » . وتجدهم يتبارون بما في امكانهم للاتصاف بما وصف به الرسول العلماء الذين يدعون المؤمنين من خمس الى خمس : « من الشك الى اليقين . ومن الرياء الى الاخلاص . ومن الرغبة الى الزهد . ومن الكبر الى التواضع . ومن العداوة الى النصيحة » .

فترى علماءنا يكثرون من الصمت ويقللون من الكلام لقوله عليه الصلاة والسلام: « من فتنة العالم ان يكون الكلام أحب اليه من الاستماع » .

وتجدهم يتحاشون لبس الحلي من الذهب والجواهر لان النبي صلى الله عليه وسلم نزع من أصبعه خاتم الذهب اثناء خطبته له .

وتراهم يتجنبون حضور الملاهي المعروفة « بالتياترات » والمراقص المعروفة « بالبالوات » ويتحاشون القعود في القهاوي والمحلات العمومية لسماع الغناء عملاً بقول الائمة رضوان الله عليهم : « ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو سفيه ترد شهادته . وان الطقطقة بالقضيب (شبه آلة موسيقية) مكروهة واضعها هم الزنادقة [1] .

وتجدهم يمتنعون في الغالب عن تدخين الدخان فى السجاير بل يستعملونه نشوقاً لان تدخينه فى السجاير حادث وهم يجتهدون فى الابتعاد عن المحدثات لقول ابن مسعود. « ألا واياكم ومحدثات الامور فان شر الامور محدثها » .

« فى المتعلمين »

(كيف ينتظم الطالب في سلك طلبة الازهر)

اذا أراد الطالب مجرد الحضور لسماع الدروس فليس هناك قيد اذ ان التدريس فى الازهر عام مباح لكل من يريد الحضور فيه . والتعليم فيه مجانى محض فى كل اطواره وامتحاناته (لا كما هو واقع فى مدارس أوروبا العليا حيث التعليم مجاني ولكن

---

(١) قال هذا القول الامام الشافعي رضي الله عنه .

للدخول فى الامتحان جعل مالي خصوصي) ولم يجعل التعليم فى الازهر بجعل مخصوص الا فى ايام الخليفة الفاطمى العزيز بالله وفى ايام السلطان الظاهر بيبرس .

أما اذا أراد الطالب الانتظام فى سلك احد الاروقة أو الحارات فالامر مقيد بالقانون فيشترط ان يكون الطالب عمره خمسة عشر سنة على الاقل وأن تكون له دراية بالقراءة والكتابة حافظاً لنصف القرآن على الاقل (ويتعين حفظه كله على كفيفي البصر)

فيمتحن الطالب فى ذلك و بعد التصديق عليه من لجنة الامتحان يرسل لحكيم الازهر ليطعمه الجدري ثم يرسل للمشايخ الذين اختارهم للحضور عليهم و بعد التصديق منهم يقيد اسمه فى دفتر الرواق الذي يريد الدخول فيه وفى سجل الازهر . وهاته الطريقة متبعة عند الطلبة المصريين فقط . أما الاجانب فيعاملون بحسب اصطلاحاتهم القديمة فمثلا فى رواق المغاربة يجتمع شيخ الرواق ونقيبه و بعض نابغى طلبته ويمتحنون الطالب فى القراءة فقط فان أجاب قبل .

﴿ عدد الطلبة ﴾

قال المرحوم علي باشا مبارك ناظر المعارف العمومية بالحكومة المصرية في كلام له على الازهر ما نصه : « ثم ان مدرسة الجامع الازهر من أيام محمد علي الذي أحيا العلوم والمعارف في القطر المصري أخذت في استرجاع رونقها القديم وجعل الطلبة يتقاطرون عليها من كل صقع من جميع المذاهب الاسلامية (١) وقد ضبط عدد المجاورين في سنة ١٢٩٢ ﻫ فكان عددهم ١١٠٩٥ طالباً » .

وأحصى عدد الطلبة في سنة ١٣١٠ ﻫ فكان عددهم ٨٢٥٩ طالباً .

وهم الآن (سنة ١٣٢٠) ١٠٤٠٣ طالباً .

وهؤلاء الطلبة ينقسمون بحسب المذاهب كالآتي :

(١) أحصي عدد المشتغلين بالعلم بالازهر في سنة ٨١٨ ﻫ فكان عددهم ٧٥٠ رجلاً ما بين عجم وزيالعه ومن أهل ريف مصر ومغاربة .

حنفية	٢٩٥١	طالباً .
مالكية	٢٦٥٤	طالباً .
شافعية	٤٥٦٩	طالباً .
حنابلة	٢٩	طالباً .

وجل هؤلاء الطلبة مصريين من سكان الارياف ولا يوجد من نفس مدينة القاهرة الا نذر قليل منخرط في سلكهم .

والطلبة الاجانب عددهم ليس بالكثير بالنسبة لعدد المصريين .

وهاك بيان الطلبة الاجانب الذين يقرأون العلوم بالازهر اليوم من بلاد مختلفة :

من أهل الشام	٢٦٤
من الاتراك	١٠٤
من طرابلس الغرب	٥١
من الجزائر	٢٧
من مراكش	٢٢
من تونس	٢٠
من الاكراد	٩
من أهل بغداد	٢
من أهل الجبرت بلاد الحبش المسلمين	٦
من أهل الهند	٣
من أهل الحجاز	٧
من أهل جاوه	٧
من أفغانستان	٥
من دارفور بالسودان	١٢
من سنار بالسودان	٢٨
من برنو بالسودان	١٤

من دكارنة صليح بالسودان	١٣	
من البرابرة	٤٥	
فيكون المجموع	٦٤٥	طالباً أجنبياً

ولا يوجد بين الطلبة امرأة . انما سمعنا من الثقاة انهم رأوا من منذ سنين امرأة كانت تحضر الدروس على بعض المشايخ . كما سمع انه من وقت لآخر كانت بعض النساء تحضرن الدروس لطلب العلم بالازهر .

ولم يسمع بأن مسيحياً أو اسرائيلياً حضر بالازهر وواظب على طلب العلم به مع تظاهره بغير دين الاسلام . ويقال ان العلامة المنكاري كولدسير لماحضر بالازهر على الشيخ الاشموني كان يسمي نفسه « الذهبي » .

﴿ ملابس الطلبة ﴾

ليس في الازهر من يلبس الملابس الاوروبية بل ملابس الجميع عربية شرقية . وأكثر الطلبة يلبسون الزعابيط الصوف والدفافي المصبوغة وقد يلبس بعض الصعايدة (سكان مصر العليا) ملاية زرقاء ذات خطوط بيضاء ويختلف الجميع فى الزي تبعاً لاختلاف بلادهم فالشامي يلبس ملابس شامية بزي شامي والمراكشى كذلك والتركي يلبس كما كان يلبس بين قومه وهلم جرا . وقد يلبس أهل الثروة منهم الثياب المفرجة من جبب وقفاطين والشرابات فى أرجلهم . اما العمائم فهى لدى الكل بزي واحد تقريباً ولا يكاد يوجد طالب علم بلا عمامة [1] .

---

(١) أغلب الطلبة عممهم بيضاء . و بعض السادة الاشراف منهم يلبس العمة الخضراء . وقد خصص اللون الاخضر بالسادة الاشراف وأقر ذلك رسمياً في سنة ٧٧٣ في عصر الاشرف شعبان بن الناصر قلاون سلطان مصر . وفي ذلك يقول أبو جابر النحوي

جعلوا لابناء الرسول علامة ... ان العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم ... يغني الشريف عن الطراز الاخضر

﴿ اعفاء الطلبة من الخدمة العسكرية ﴾

ان تعظيم المسلمين لعلومهم الدينية وتبجيلهم وتكبيرهم كل من يتعلق بها وينتسب اليها أمر مشاهد مقرر للعيان قديماً وحديثاً وقد سرى هـذا الاحترام فى نفوسهم سريان الدم فى الجسم فتراهم يعظمون كل ما له مساس بالعلم ذا التصاق به. ألا ترى كافة المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها اذا وجد أحدهم قطعة ورق مكتوبة ملقاة على الارض بادر نحوها ورفعها من المحل خوفاً من ان تمسها نجاسة وأسرع فى وضعها بمحل طاهر لا يدركها فيه الرجس . واذا أراد التلميذ غسل لوحته التى قرأ بها درسه ولو كان من حروف الهجاء غسلها بماء طاهر محافظاً على ذلك الماء فى اناء طاهر والقى الماء الحامل لأثر كتابة الحروف الهجائية (وان لم تكن من القرآن العظيم) فى محل طاهر أيضاً . ومن نادر ما روي من هذا القبيل ان الامير عبد الرحمن كتخدا الذي كبر الازهر وخلد به آثاراً عظيمة منها المكتب المعـد لتعليم الصبية القرآن جعل من المكتب المذكور قناة توصل غسيل ألواح الاطفال الى قرب قبره للتبرك بذلك المـاء الحامل لأثر أحرف كتب بها القرآن العزيز . وتعظيم العلماء لدى كل طبقات الامة من خليفتها لأميرها لوزيرها لمتوسطها لحقيرها أمر مثبوت فى التاريخ ومشاهـد بيننا اليوم .

هذا الخليفة الكبير هارون الرشيد على واسع سلطانه وعظيم ملكه طلب الامام مالك ليسمع منه العلم فاجابه الامام بان : « العلم يؤتى له ولا يأتي » فخضع الخليفة للعالم وذهب له بنفسه وتلقى عنه العلم وقال : « تواضعنا لعلم مالك فانتفعنا به » .

وهذا عباس باشا الاول خديوي مصر كان يحضر على علو قدره للجامع الازهر ويتقدم لسماع درس الشيخ الباجوري فلا يقوم له الشيخ كأن القادم فرد من أفراد الامة لا خديويها .

وهؤلاء بايات تونس الفخام يقومون لليوم في المقابلات الرسمية ويتقدمون خطوات لاستقبال العلماء اهل المجلس الشرعي ويقبلونهم من أفواههم التي تترطب في كل وقت بذكر الله

وهاهم اهل جزيرة جاوة يمنعون علماءهم من دفع الضرائب للحكومة الهولاندية ويدفعونها عنهم فرحين.

وهاته حكومة مراكش لا تأخذ من العلماء ضريبة ما.

والحاصل ان تعظيم العلم ومن ينتسب اليه عام في كل كافة البلاد الاسلامية يظهر اثره في جملة أمور بحسب عادات البلاد واخلاقها ومن المميزات التى ميزت بها الطلبة المجاورون بالازهر اعفاءهم من الخدمة العسكرية. وكان هذا الاعفاء عاماً لكل من ينتسب للازهر من الطلبة ولو لحديث الانضمام بينهم وقد انتهز بعد السقطاء تلك الفرصة للغش والتدليس وصاروا يدخلون اولادهم او أقاربهم في الجامع قبيل طلبهم للخدمة العسكرية بزمن قليل ابتغاء تهريبهم من تلك الخدمة ثم بعد اعفائهم يخرجونهم من سلك الطلبة. فاضطرت الحكومة عندئذ لسن قانون مخصوص للسير عليه والعمل بمقتضاه لاعفاء الطلبة الحقيقيين الذين غرضهم الحقيقي تعلم العلوم لا الفرار من الخدمة العسكرية ومما يشترط في القانون ان يكون الطالب قد حضر حضوراً حقيقياً في الجامع الازهر مدة ثلاث سنوات على الاقل وانه تحصل على جانب من المعلومات يمتحن فيها امام لجنة فان أجاب الطالب اجابة حسنة اعطيت له شهادة الاعفاء من الخدمة العسكرية مختومة بختم شيخ الجامع.

﴿ مرتبات الطلبة ﴾

ليس لكل الطلبة مرتبات مالية فان غالبهم لا يأخذون منها شيئاً وسبب ذلك ان تلك المرتبات انما هي ريع اوقاف موقوفة على عدد معين من طلبة كل رواق. فاذا زاد عدد الموجودين عن العدد الذي حدده الواقف بقي العدد الزائد بلا مرتب والرواتب تختلف باختلاف كثرة ريع مجموع الاوقاف الموقوفة على كل رواق وهي على وجه العموم ضعيفة اقلها قرشان واكثرهاماية قرش في الشهر.

وتأخذ الطلبة زيادة عن المرتب الشهري جرايات من أقراص الخبز كل يوم. والمستحقون للجراية عددهم محصور ايضاً. فلا تأخذ كل الطلبة جرايات بل الجراية لا

تصرف الا للعدد المعين في وقفية الواقف وما زاد عن ذلك العدد يبقى منتظراً حتى يخلو محل وعندئذ تعطى له الجراية ولا يزيد عدد الطلبة الذين تصرف لهم الجراية الآن عن ثلاثة آلاف طالب مع ان مجموع الطلبة يبلغ نحو العشرة آلاف وخمسمائة طالب. واقل مرتب يأخذه الطالب نصف رغيف من الخبز واكثره ستة أرغفة في اليوم.

﴿ بعض عوائد طلبة الازهر ﴾

لما كان طلبة الازهر من بلاد مختلفة كانت عوائدهم مختلفة ايضاً ولكن لهم عادات مشتركة تقريباً نذكر منها طرفاً

فمن عاداتهم قبل حضور الدرس على شيخهم لا بد أن يطالعوه بالدقة اما جماعة او أفراداً وأحياناً يقوم أعلم الطلبة بمطالعة الدرس لاخوانه قبل الحضور حتى اذا حضروا الى استاذهم كانوا على بينة ومعرفة مما سيلقى عليهم.

ومن عاداتهم أن يشتركوا أحياناً في شراء الكتب الغالية الثمن و يطالعونها معاً.

ومن عاداتهم انهم عند ختم الكتاب يأتون في حلقة الدرس بالمباخر والقماقم الملآنة بالطيب والعطريات و بعضهم يأتي بشيء من الفواكه الناشفة و بعد الختم يقرأ بعض الحاضرين شيئاً من القرآن بالترتيل ثم يرش عليهم ماء الورد وينثر عليهم من الفواكه نحو اللوز والتمر ويقبلون يد الشيخ.

ومن عاداتهم عدم الاطلاع على مذهب غيرهم (فالشافعي لا يعني بمعرفة قواعد المذهب المالكي مثلا) الا مذهب ابي حنيفة فانهم الآن يرغبون في الاطلاع عليه لحاجتهم اليه في الفتوى والتقليد للوظائف الشرعية لانحصار ذلك الا ن بمصر في أهله.

ومن عاداتهم الخروج من الجامع من صباح يوم الخميس الى غروبه فيذهبون الى خارج المدينة جهة النيل للفسحة وغسل الثياب ويخرجون طوائف طوائف ويلعبون هناك الكرة أونحوها.

ومن عاداتهم ان للواحد منهم احتراماً زائداً لشيخه ولو صار شيخاً مثله فيقبل يده ويقوم له ويمتثل أمره

ومن عاداتهم انه اذا مات احد مشايخهم المدرسين يحزنون عليه ثلاثة أيام فلا يعقد بالجامع درس ويؤمر المؤذنون بعمل الابرار فيصعدون على المنابر ويقرأون باصوات مرتفعة قوله تعالى « ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا » وما يليها من الآيات الكريمة ويفعل ذلك على كثير من منابر المساجد فيتسامع الناس ويحضرون للجنازة ويشيعون الميت الى الازهر وأمامه المنشدون يقرأون البردة (قصيدة الامام الاباصيري في مدح النبي صلى الله عليه وسلم) ويليهم العلماء ويصلون عليه في الازهر وهناك ينشدون القصائد للتأبين وذكر مناقبه ويدفن. ثم يحتفل له بجوار عموده الذي كان يدرس عنده ثلاث ليال يجمع فيها كثير من العلماء والطلبة لاجل قراءة اعتاقه (١) « لا اله الا الله » ويستمرون جزءاً عظيما من الليل ثم في كل اسبوع من أربعة أسابيع بعد صلاة الجمعة يجتمعون عند عموده ويقرأون القرآن العظيم.

﴿ حرية الطلبة ﴾

لا يوجد بالازهر مراقب يجبر الطالب على حضور الدرس بل الطالب مخير في ذلك انما أغلب الطلبة لا يتخلفون عن الحضور خصوصاً وان لصاحب الجراية والمرتب منهم اذا غاب عن الرواق بدون اذن من شيخه عقاب والحاصل ان أمر حضور الدروس وعدمه موكول للطالب فان دفعه حب الذات لطلب العلم حضر والا فلا.

﴿ الاعتناء بصحة الطلبة ﴾

ان الاوربي الذي لم ير الازهر متى سمع بان هذا الجامع هو مدرسة جامعة بها نحو الاحد عشر ألف طالباً ظن ان هاته المدرسة الاسلامية كالمدارس الاوروبية محاطة بالميادين الواسعة والجنائن الكبيرة عامرة باحدث الآلات المخترعة لحفظ الصحة. ولكن الحالة على غير ذلك فان الازهر جامع كبير كسائر الجوامع محاط من أكثر جهاته بالاروقة المعدة لسكن المجاورين وبمنازل الاهالي المتلاصقة بعضها الى جانب

(١) العتاقة مشتقة من العتق ويقصد بها فى الاصطلاح الدلالة على ادعية يبتهل بها الى الله سبحانه وتعالى ان يغفر ذنوب المتوفي ويعتقه من النار.

بعض وبالشوارع والحارات الضيقة . وقد سعت الحكومة الخديوية من عهد قريب في تحسين حالته الصحية بفتح الشوارع الواسعة حوله وبتغيير ما أمكن تغييره مما كان غير موافق للصحة فابطلت الحياض الكبيرة التى كانت معدة للغسل والوضوء ويتراكم فيها قذر الماء بتقادم العهد واستبدلت بحنفيات تجري فيها المياه النقية النظيفة واستبدلت القناديل الزيتية التي كانت تضيء الجامع ليلا بمصابيح من غاز الاستصباح فزادت كمية الضوء زيادة كبيرة .

وصارت حصره تغير كل ست أشهر بعد ما كانت لا تغير الا في كل سنة وعين له طبيب خاص يعود المريض من الطلبة مجانا واقيمت به اجزخانة عظيمة لصرف الادوية لهم مجانا أيضا

ومع هذا كله فانك تجد صحة أغلب الطلبة على ما يرام النشاط باد عليهم والقوة متلألئة على وجوههم لعيشتهم عيشة الاعتدال والبساطة

﴿ عدد المتخرجين من الطلبة في كل سنة ﴾

يظن السامع الذي لا يعرف الازهر ان هاتة المدرسة الجامعة الكبرى التي يبلغ عدد طلبتها نحو الاحدى عشر ألف طالب يتخرج من أبنائها المتممين للدراسة بها الحائزين لشاداتها العليا في كل سنة ألف على الاقل . ولكن للأسف يتحسر المسلم منا اذا قال ان العدد الحقيقي المتخرج منها في كل سنة لا يزيد عن عدد الاصابع [1] ولم يكن ذلك ناشئا عن تقصير كبير في التعليم أو التعلم وانما سببه ان اكثر الطلبة يتركون الدراسة بمجرد حصولهم على ما يظنونه كافيا من المعلومات فيكتفون بها ويرجعون الى بلادهم قبل تتميم دراستهم

ولا يتقدم للامتحان غالبا الا راغب التوظف في وظائف الحكومة القضائية

---

(١) كان لا يمتحن في العام اكثر من ستة واذا تراكمت العرائض من طالبي الامتحان نظر شيخ الجامع في موجبات الترجيح كالشهرة العالية وكبر السن (قانون الشيخ العباسي المهدي المسنون في سنة ١٢٨٨ ه) .

الشرعية أو وظيفة مدرس ولهذا قل عدد المتقدمين للامتحان و بالطبع عدد المتخرجين .

أما الآن فأخذ الطلبة في الاقبال على الامتحانات اقبالا كليًا حتي بلغ عدد المتخرجين في السنة الماضية ثلاثة أضعاف ما كان يتخرج قبل ذلك . ولا شك ان عدد المتخرجين سيزيد كثيرًا في السنين المقبلة نظرًا للتحسينات الجمة التي ادخلت للجامع حديثًا بقصد اتقان التدريس وترغيب الطلبة في الاشتغال بطلب العلم لنفس العلم لا لغرض التوظف في القضاء وحده

﴿ في ادارة الجامع ﴾

(مشيخة الجامع)

لم يكن للازهر من قديم الزمان شيخ يتولى رئاسة ادارته بل كان يتولاه الولاية العامة الملوك والامراء و يباشر شؤونه الحقيقية مشايخ المذاهب الاربعة ومشايخ الاروقة

وفي القرن الحادي عشر استحسن ان يعين له رئيس عمومي يدير شؤونه ويراقب أموره من تعاليم وغيرها يلقب « بشيخ الجامع الازهر » ينتخب ممن اشتهروا بالفضل والعلم من كبار العلماء بلا اشتراط ان يكون من مذهب معين (١)

وكانت العادة في بادئ الامر ان شيخ الجامع لا يعزل الا بالموت حتى انه لما عجز الشيخ ابراهيم الباجوري عن القيام بوظيفته لشيخوخته في حوالي سنة ١٢٧٥ هـ أمر المرحوم سعيد باشا خديوي مصر أربعة مشايخ من أكابر العلماء ليديروا حركة الجامع بطريق التوكيل ثم أبطلت هاته العادة في سنة ١٢٨٧ هـ بعزل الشيخ العروسي من مشيخة الجامع .

---

(١) أول من تولى المشيخة الامام أبو عبد الله الخرشي المالكي و بقيت بيد السادة المالكية من حوالي سنة ١٠٩٠ لغاية سنة ١١٧١ ثم تولاها من بعدهم السادة الشافعية و بقيت بيدهم لغاية سنة ١٢٨٧ وحينئذ تقلدها العلامة الشيخ محمد المهدي العباسي وهو أول من تقلدها من العلماء الحنفية . وهي الآن بيد السادة المالكية فان شيخ الجامع الحالي العلامة الشيخ سليم البشري مالكي المذهب

وشيخ الجامع الازهر بمصر هو بمثابة شيخ الاسلام بدار الخلافة وتونس له حق المراقبة على السيرة الشخصية الملائمة لشرف العلم والدين لمن هم تحت ادارته وله التقدم على كافة العلماء ما عدا قاضي مدينة مصر الشرعي لانه يعين من قبل مولانا أمير المؤمنين السلطان العثماني بالاستانة العلية

والجناب العالي الخديوي هو الذي يعين بارادته السنية شيخ الجامع و يخلع عليه عند تعيينه بخلعة سنية هي كرك ثمين يعطي له بحضور العلماء في موكب كبير في القصر الخديوي .

ومرتب شيخ الجامع نحو السبعمائة جنيه في السنة وله مقدار عظيم من الخبز المعروف في الازهر باسم « الجراية »

﴿ مجلس ادارة الازهر ﴾

بقى مشايخ الازهر يتصرفون بانفرادهم في ادارة الجامع الى سنة ١٣١٢ هـ وحينئذ رأى ولاة الامور ثقل الحمل عليهم فوازروهم بمجلس ادارة مركب من خمسة من كبار العلماء (ثلاثة من مدرسي الازهر واثنان من مستخدمي الحكومة) يكون شيخ الجامع الازهر رئيساً عليهم عند اجتماعهم للمداولة في شؤون الازهر المختلفة

ولهذا المجلس ان يصدر قرارات يكون بموجبها سير التدريس وضبط الطلبة والاعمال وكلما له علاقة بالجامع الازهر وصرح له بأن يأذن لغير علماء الازهر بتدريس العلوم التى لم يتداول تدريسها الآن بشرط ان يكونوا من أهل العلم الحائزين للصفات الملائمة لحالة الازهر من حيث هو مدرسة اسلامية .

وله ان يعين كتباً لجميع العلوم خصوصاً فيما يتداول تدريسه فى الازهر ومتى عين كتاباً لا يجوز قراءة غيره الا بقرار يصدر منه ولا يباح لاحد ان يختار غير الكتب المألوفة قراءتها فى الجامع الازهر الا بعد اشعار هذا المجلس وصدور قرار منه فى ذلك .

وقد أحدث هذا المجلس على حداثته نهضة علمية فى الازهر يبث روح النشاط بين الطلبة و بتحسين طرق التدريس ومواده فهو الذي قرر ادخال تدريس بعض

العلوم الحديثة وخصص لها ستماية جنيهاً تعطى مكافأة للنابغين فيها وهو الذي قرر منع تدريس الحواشي والتقارير منعاً باتاً فى الاربع سنوات الاولى لحضور الطالب ·

« خدمات الازهر للغة العربية وللشريعة الاسلامية »

(ولتوثيق روابط الود بين المسلمين والمسيحيين)

ان اللغة العربية كانت سوقها رائجة وبضاعتها رابحة في صدر الاسلام اذ جاء بها القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة وقد اشتملا على بدائع الحكم وجليل النصائح وواضح الاحكام في المعاملات الاجتماعية بسائر أنواعها حتى لم تغادر صغيرة ولا كبيرة الا وأحصتها ·

وقامت الدولة الاسلامية محافظة على تلك اللغة نظراً لكونها رابطتها القومية واشتمالها على الاحكام الدينية والتعاليم الحقوقية والحكم والآداب ·

والدولة يومئذ عربية سالكة مسلك التقدم والارتقاء متدرجة في الحضارة تدرجاً قوياً ومعلوم ان اللغة تقوى بقوة الدولة وتضعف بضعفها كما تنبيء بذلك مطالعة الحوادث التاريخية للامم الغابرة والقائمة الآن ·

ولما كثرت الفتوحات الاسلامية واختلط العربي بغيره وتبودلت المنافع والوسائل الاجتماعية وكان حمل الانسان على معرفة غير لغته وتركه لهجته التى مرن عليها واعتادها منذ نشأته أمراً عسراً يتعذر الوصول اليه دفعة واحدة (اذ الذي يحاول التكلم بغير لغته يكون عرضة في باديء الامر للغلط والتحريف) انصدع سياج اللغة العربية الفصحى وتطرق اليها الخلل فيما بين أبنائها لضرورة كثرة المجاورات والمخالطات التى يقضي بها العمران وأخذ ذلك في الازدياد كلما كثرت المواصلات بين العربي وغيره حتى أصبح شمل اللغة الفصحى مشتتاً في جميع البقاع وصار أخذ الاحكام الشرعية من القرآن والاحاديث أمراً يصعب الوصول اليه على من لم يتعلم اللغة العربية الفصحى ·

ولما كانت الدولة الاسلامية لا مناص لها عن معرفة أحكام دينها وآداب أسلافها اضطرت لتدوين مؤلفات في تلك اللغة الفصحى ووجه علماؤها عنايتهم لضبط شواردها

والعناية بها وقام كل يحاول الوصول الى بلوغ الغاية منها فمنهم من سلك مسلك التألف ومنهم من سلك طريق التعليم وقد شيدت المدارس الاسلامية في بقاع كثيرة (كالمدرسة البيهقية بنيسابور وهي أول مدرسة بنيت في الاسلام و كالمدرسة النظامية ببغداد) لاجل تعليم اللغة والاحكام الشرعية التى جاءت بها

ولم نر حتى الآن مدرسة اسلامية وفدت عليها الجماهير الغفيرة رغبة في تعليم تلك اللغة والوصول الى معرفة الاحكام الشرعية التي جاءت بها سوى مدرسة الجامع الازهر فقد راجت فيها سوق تلك العلوم اللسانية وحفظ سياج اللغة الفصحي وأصبح طريق الاحكام الشرعية واضحاً ينبئك بذلك ان كثيراً من الكتب الدراسية المستعملة في كثير من الجوامع الاسلامية الاجنبية عن مصر هي من تأليف الازهريين وان سوق اللغة العربية الفصحي رائج في مصر رواجاً لم يرجه في اقليم آخر من الاقاليم العربية . أنظر للجرائد والمؤلفات العربية المصرية وما هو من هذا القبيل فى البلاد الاخرى ترى الفرق شاسعاً . اسمع بعض المرافعات الرنانة التي تحصل امام محاكمنا الاهلية باللغة العربية وقارن بينها و بين كل ما يحصل في محاكم بعض البلاد الاخرى باللغة العربية أيضاً ترى بوناً شاسعاً وفرقاً عظيماً .

لاحظ الدول الاوروبية التي أخذت في تعليم اللغة العربية ببلادها (كالروسيا والمانيا وفرنسا) تجدها تنتخب الاساتذة اللازمين لها من مصر . فلولا الازهر ماقام في الشرق عموماً وفي مصر خصوصاً قائم للغة ولأصبحت الاحكام الشرعية مستورة تحت طي ستار تلك اللغة المجهولة . وقد رأينا فيها الكردي والحبشي والبربري والتركي والهندي سواء في التكلم والتفاهم باللغة العربيـــة الفصحي متسابقين الى معرفة آي الكتاب الكريم والاحاديث النبوية الشريفة وما اشتملت عليه من الاحكام . وهذا أمر جليل الفائدة حفظ للدين الاسلامي شمله وللغة كيانها في العالم الاسلامي أجمع .

بل لو أجلنا النظر لرأينا ان هذه التعاليم الأنف جانب المسلمين لاخوانهم أهل الكتاب . اذا رأوا في دينهم الحنيف ما يحملهم على حسن معاملتهم وأبان لنا عن لين القول في مخاطبتهم قال تعالى : « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن

وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون » .
وقال أيضاً : « آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله » . وقال أيضاً في تلطيف الخطاب : « ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم » .

ولا ريب ان كل هذه الاحكام الشرعية تقلع من قلب كلّ من وعاها جذور البغض لاهل الكتاب الذين لا يدينون بدينه . ولهذا نرى ان كل من تعلم الدين الاسلامي حق التعلم لين الجانب دمث الاخلاق سمحاً سهلاً في عامة معاملاته . وهذا يستتبع حقاً حسن معاملة المسلمين لغيرهم ممن لا يدينون بدينهم وفي ذلك من المنافع للطرفين مالا يجهل عظيم فائدته فان بني النوع الانساني متى تأكدت بينهم صلة المعرفة وقويت أواصر الصحبة وزال سوء التفاهم واستؤصلت البغضاء من أفئدتهم اتحدت وجهتهم واجتمعت أيديهم على تذليل الصعاب واستخراج منافع الكائنات فعاشوا عيشة راضية لا تنحرف بهم العداوة والبغضاء عن تلك الوجهة الحسنة .

كل هذه الفوائد مطوية تحت خلال التعاليم الشرعية القائم بها الازهر من منذ نشأته حتى الآن وان ندّت عن بعض الاذهان لغفلة تؤوب اليها بقليل من التنبيه والتذكير : « فذكر ان الذكرى تنفع المؤمنين » .

﴿ امنية الختام ﴾

ان الغاية التى يرمى اليهـا التعليم في الازهر هي تخريج قوم عالمين بالاحكام الشرعية والعلوم العربية . محافظين على التعاليم الدينية والآداب والنصائح العربية قادرين على نشر تلك الاحكام والآداب ذوي سلطان على قلوب العامة وتأثير في نفوسهم حتى يسلكوا بهم المحجة الواضحة الموصلة الي أغراض الشرع الاسلامي الحقة .

وهي فائدة عظمى لو أتيت من بابها واتخذت اليها وسائلها ولكن حصل انحراف في السير وذلك انا رأينا التعليم فيه خالياً من كثير من الوسائل الموصلة الى ذلك الغرض الاسنى والمقصد الاقصى اذ العناية بعلوم اللسان العربي قاصرة على معرفة

القواعد والمناقشات في الالفاظ مع التوسع الزائد في ذلك وهو ما يضلّ الطالب ويحيد به عن الجادّة الموصلة الى الغاية لذلك كانت هذه الطريقة عقيمة لا يترتب عليها تقوية الملكة في تلك العلوم ولا البراعة في الاساليب وفصاحة التراكيب خصوصاً مع اهمالهم معرفة مفردات اللغة ضبطاً ووضعاً وخطب العرب وأشعارها ولذا ترى دراسة اللغة العربية مع استغراقها زمناً كبيرًا ما بين تعلم وتعليم لا تمكن الكثير من الوقوف على أسرارها واستخراج ما فيها من كنوز الدقائق

وكذلك تدريس العلوم الشرعية لم تراع فيه ثمرة تلك العلوم من حفظ أحكامها ومعرفة براهينها ووجهة العدالة فيها وما يترتب عليها من خيري المعاد والمعاش . وما يترتب على العمل بتلك الاحكام من انتظام عقد أفراد الامة واصلاح شأنها وتهذيب نفوس أبنائها وتقويم أودهم في معاشهم وتوثيق الارتباط بين الافراد وايقاف كل على ما يجب عليه بالنسبة لنفسه وعائلته وجيرانه وبلده وأهل قطره وحاكمه وعامة اخوانه في الانسانية ومشاركيه في الجنسية بل ما ينبغي له عمله بالنسبة لسائر الحيوانات فان كل ذلك أوفته الشريعة الاسلامية حقه من القول بل اقتصروا على التمكن من فهم العبارات وأخذ الاحكام التفصيلية منها دون معرفة الحقيقية والقواعد الكلية حتى انك لترى منهم من لا يجيبك لو سألته عن حكم في مسألة من الحوادث التي لم يكن المتقدمين فيها قول وهذا لا يصلح ان يكون غرضاً للدراسة في تلك المدة الطويلة التي قد تستغرق معظم العمر أحياناً .

وعلوم الاخلاق الدينية وان أدخلت اسماً في الازهر الا انها في الواقع مهملة اهمالاً كلياً . وما أُجمل منها في نصوص الآيات القرآنية والاحاديث النبوية لا يلتفت المعلمون اليه فى التعليم التفاتاً كافياً لان الشيء اذا طلب على انه مقصود لذاته لا يلتفت الى ما هو منطوٍ فيه من المعاني التي لم تكن مقصودة فى هذا الشيء لذاتها بخلاف ما لو كانت مقصودة قصداً ذاتياً .

ولا أثر فى هذا الجامع الشهير لفن الخطابة وصناعة الترسل مع ما لهما من جليل الفائدة بل هما الغاية من علوم اللغة وعليهما مدار الافادة والاستفادة فان المتخرج

الخالي منهما أعزل لا يتمكن من هزم جيوش أهواء العامة المختلفة وأغراضها المتباينة وتأييد سلطان الشريعة على شهوات النفوس وأميال الاهواء بادخال حقائقها في خزائن الافئدة وحمل الكافة على استحسان الحسن واستهجان القبيح ثم العمل على ذلك في الفعل والترك .

ولو رُوعيَ تحسين طريقة التعليم وتعهدت أذهان الطلبة بالعلوم الرياضية والطبيعية والاجتماعية من جغرافيـــة وتاريخية واقتصادية لتخرج من الازهر مصاقع الخطباء وفرسان البلاغة وأساطين الحكماء يستولون على الافئدة بذلاقة ألسنتهم ويملكون العقول ببراعة أساليبهم ويحولون القلوب بتعبيرهم وتحبيرهم من حال الى حال ويقتدرون بما لهم من المعارف الواسعة بالعقائد والاحكام الدينية وارتباطها بالحوادث الزمانيـة والانقلابات العصرية على توحيد مقاصد العالم الاسلامي وتبصيره في معاملته مع الامم ليصافي من تنفعه مصافاته ويجافي من تفيده مجافاته . كيف لا والمتخرجون من الازهر من بقاع مختلفة وأقطار متباينة وشعوب متعددة يجتمعون فيه على مقصد واحد يعتادون الثبات عليه والكد في الوصول اليه والذب عنه وكل يرجع الى قومه وقد أُشرِبَ قلبه حب ذلك المبدأ ولا يألوا جهداً في حمل أبناء اقليمه عليه ولا يخشى اخفاقه في مسعاه وهم ولعون باعظامه واكباره فتطيب نفوسهم للامتثال لامره .

وهذا ما يحملنا على القول بان اصلاح التعليم في الازهر وسيلة لاصلاح العالم الاسلامي وترقيته الى درجات التقدم والحضارة وانماء العمران وايجاد روابط الاتحاد بين أفراده وشعوبه



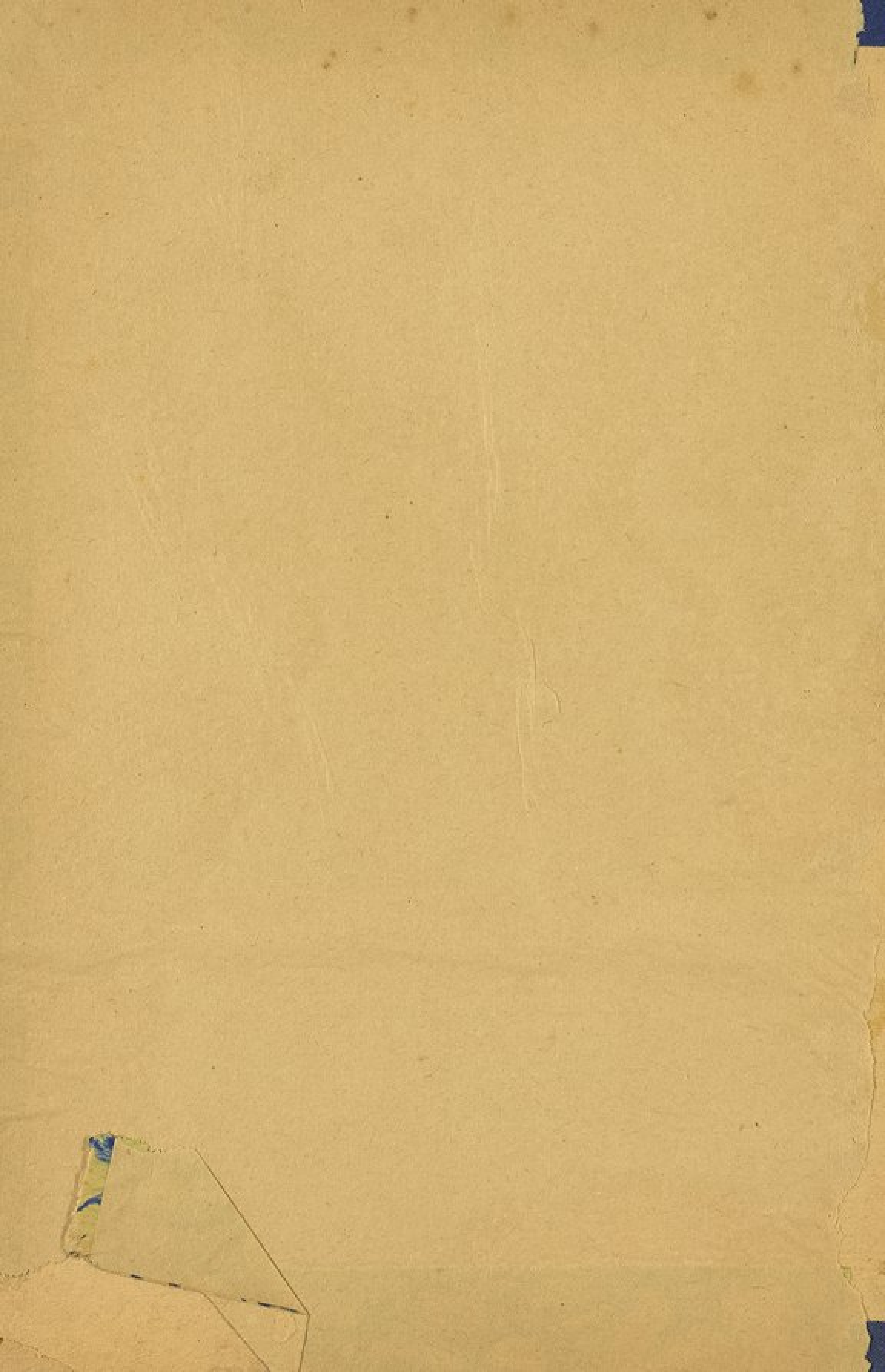
فهرست

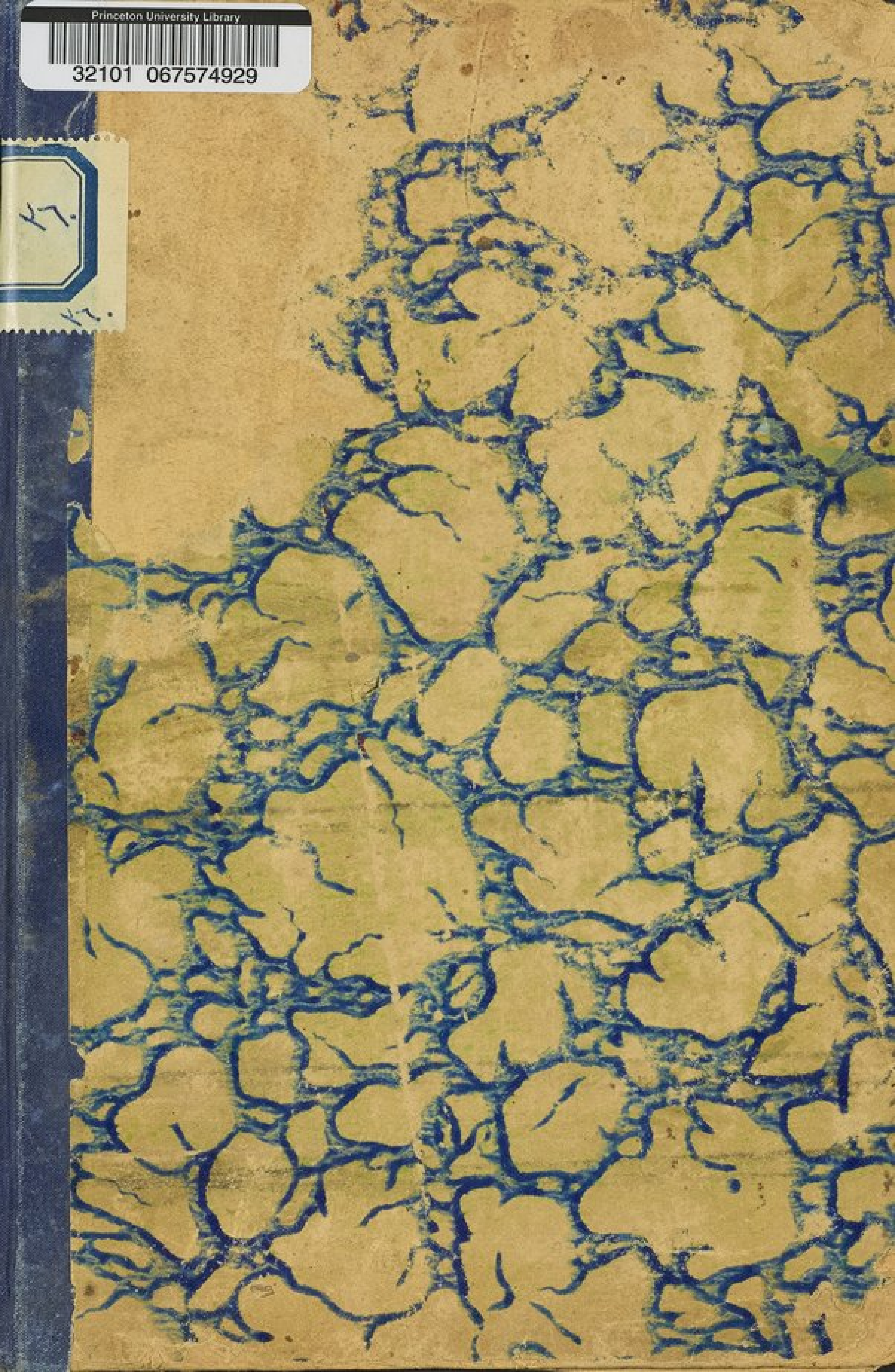
﴿ في المدرسين ﴾

﴿ في المتعلمين ﴾

﴿ في ادارة الجامع ﴾

﴿ خدمات الازهر ﴾




Princeton University Library
32101 067574929